وزارة الثقافة

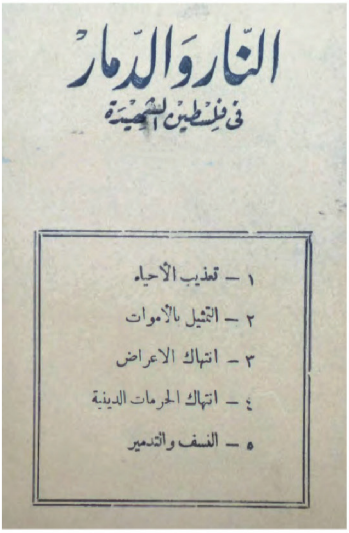

النَّار والدَّمار في فِلَسطين الشَّهيدة
سرد حوادث وتوثيق صور لفظائع الإنجليز واليهود

رقمنة
وزارة الثقافة
Ministry of Culture

النَّار والدَّمار
في فِلَسطين الشَّهيدة

أعدَّته: جريدة الجامعة الإسلاميَّة

صدرت الطَّبعة الأولى عام ١٩٣٨

عن مطبعة جريدة الجامعة الإسلاميّة

وزارة الثقافة الفلسطينية
سلسلة الموروث الثقافي
اسم المؤلف: جريدة الجامعة الإسلاميّة
اسم الكتاب: النَّار والدَّمار في فِلَسطين الشَّهيدة
الطبعة الأولى: ١٩٣٨ عن مطبعة جريدة الجامعة الإسلامية

الإشراف العام: عبد السَّلام عطاري
مراجعة وتدقيق: حنين خالد عِناية
الصف والتنضيد: شادية الخطيب
تصميم الغلاف: فاطمة حسين

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعمال المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذنٍ مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior permission of the publisher.

فلسطين
www.moc.pna.ps

النَّار والدَّمار
في فِلَسطين الشَّهيدة

تقديم

سيادة الرَّئيس محمود عبَّاس «أبو مازن»

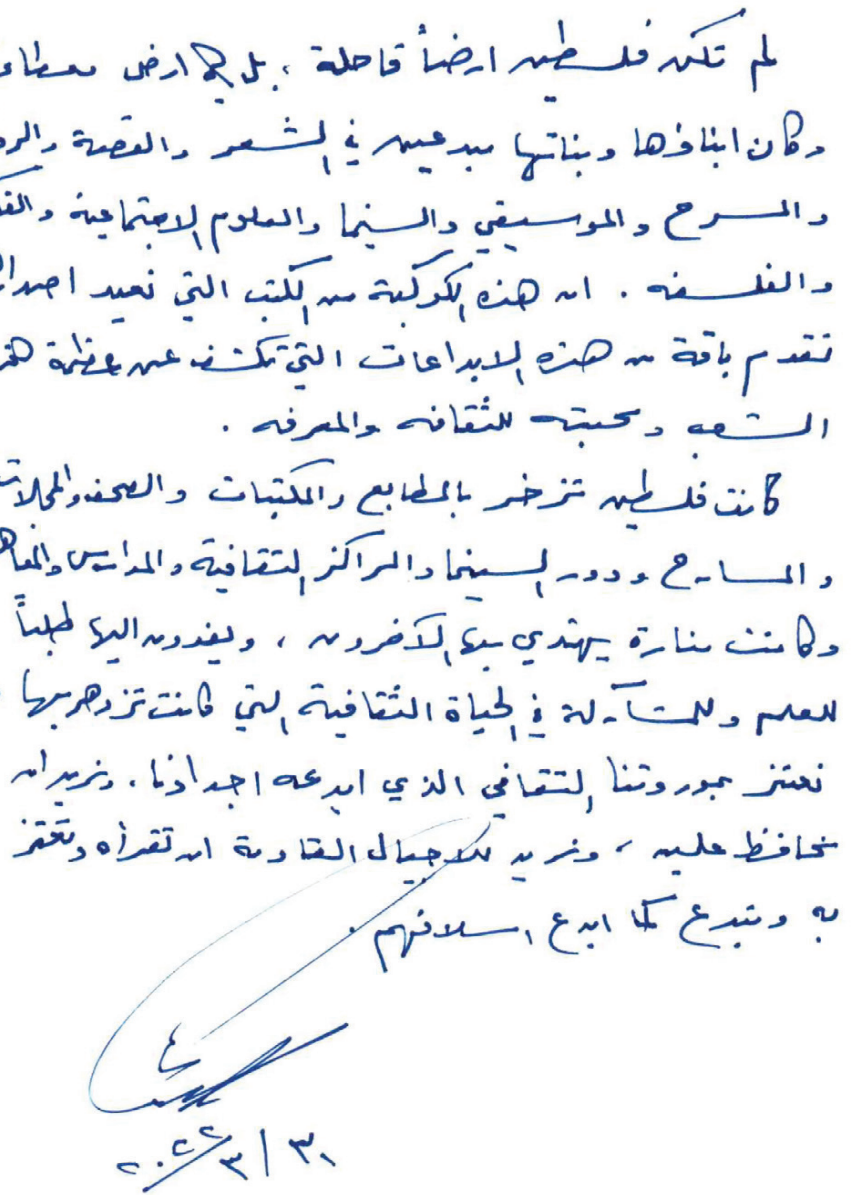
لم تكن فلسطين ارضاً قاحلة ، بل كانت ارض معطاءة
وكان ابناؤها وبناتها مبدعين في الشعر والقصة والرواية
والمسرح والموسيقى والسينما والعلوم الاجتماعية والفكر
والفلسفة . انه لمن الكرامة ان الكتب التي نعيد اصدارها
تقدم باقة من هذه الابداعات التي تكشف عمق وغنى هذا
الشعب وحبه للثقافة والمعرفة .

كانت فلسطين تزخر بالمطابع والمكتبات والصحف والمجلات
والمسارح ودور السينما والمراكز الثقافية والمدارس والمعاهد
وكانت منارة يهتدي بها الكثيرون ، ويفدون اليها لطلب
العلم والمشاركة في الحياة الثقافية التي كانت تزدهر بها .
نعتز جميعنا بتراثنا الثقافي الذي ابدعه اجدادنا . ونريد ان
نحافظ عليه ، ونريد لاجيالنا القادمة ان تقرأه وتعتز
به وتبدع كما ابدع اسلافهم .

٢٠٠٥/٢/٣٠

الشَّهيد قاسم عيسى

أحـد ضحايـا السِّياسـة الإنجليزيَّـة التـي ترمـي إلى تهويـد فِلَسـطين، والـذي مثَّـل المجرمـون برأسـه تمثيـلًا فظيعًـا.

من فظائع الإنجليز في فِلَسطين

•••

في فلسطين ثورة على الظلم الذي لم يشهد التاريخ مثله، الظلم المنظم القائم على السلب، والذي يرمي إلى إجلاء أهلها عنها وإحلال اليهود محلهم فيها. فهي ثورة مقدسة تقوم لأشرف الغايات وأقدسها: الدفاع عن الحياة، والمحافظة على البقاء.

والإنكليز يتخذون لإخماد هذه الثورة أعنف الوسائل وأغلظ الأساليب البربرية ويرتكبون في الأرض المقدسة أنواعًا من الموبقات والفظائع تثور لها النفوس ويضطرب لهولها الضمير الإنساني.

وقد استفاض حديث هذه الفظائع حتى أصبحت أسماؤها مرادفة لاسم فلسطين. فإذا ذكر الشنق، والنسف بالديناميت، وتخريب البيوت وإتلاف ما تحتويه من مؤونة ومتاع، ونهب ما تقع اليد عليه من حلى وأموال، وترويع أهلها بشتى الاعتداءات الهمجية، والغرامات، ومصادرة الأقوات، وتصيد الأهالي الآمنين، وقتلهم في البيوت والحقول والطرق، وسجن المدن والقرى بكاملها، والنفي، والتشريد، واعتقال الناس زرافات، وانتهاك الأعراض وانتهاك الحرمات الدينية، والتعذيب الوحشي ـ إذا ذكرت هذه الأشياء، أتجه الفكر معها إلى فلسطين الشهيدة؛ لأنها هي ميدانها ومسرحها، وهي ضحيتها وفريستها.

والغرض من هذه العجالة، تدوين بعض هذه الفظائع وتسجيلها، تدوينًا لا يشتمل إلا على ما أمكن الوصول إليه من الوقائع الحقيقية

الثابتة وعرضها للملأ، ليعرف العالم حقيقة هؤلاء القوم، وليطلع على بعض ما يجري في الأرض المقدسة:

١ - التعذيب

قديمًا، في العصور المظلمة، كان التعذيب عقوبة ووسيلة من وسائل التحقيق. وكان له في السجون أماكنه الخاصة، تحت الأرض وفوقها وأدواته الخاصة، متعددة الأنواع والأشكال. فلما ارتقى الإنسان، أصبح يرى في التعذيب قسوة وحشية لا تليق بإنسانيته. وثار عليه حتى أبطله. ونحن اليوم نقرأ عن دواوين التفتيش وأمثالها في التاريخ، مع السخط والاشمئزاز.

بل لقد بلغ الإنسان اليوم من رقة الشعور ورقي العاطفة، درجة شملت الحيوان الأعجم. فنشأت جمعيات للرفق بالحيوان ومنع تعذيبه.

ونحن اليوم إذا رأينا أحدًا يعذب حيوانًا، نشمئز منه، ونعده متحجر القلب، ونتقدم لمنعه. فإذا كان المعذب إنسانًا من بني البشر، أكبرنا الجناية، واعتبرناها همجية ووحشية، وجريمة يعاقب عليها، واحتقرنا فاعلها، وألحقناه بالوحوش الضارية.

وهؤلاء الإنكليز يرجعون بالإنسانية القهقرى. ويرجعون عهد العصور المظلة. ويعيدون إلى الحياة، في القرن العشرين، فظائع التعذيب الوحشية، بعد أن دفنت مع دواوين التفتيش. بل هم يبعثونها أشد قوة وإيلامًا، بما يستعينون فيها من وسائل العلم الحديث. ويقترفونها

أعظم إثمًا وإجرامًا، لأنهم يمارسونها في الأرض المقدسة. فيسيئون بذلك كله إلى العالم الذي ينظر إلى هذه البلاد نظر الاجلال والاحترام ويسيئون إلى الإنسانية التي ارتقت عن ذلك الدور، وإلى العلم الذي وجد لخدمة الإنسان. بل هم يشينون سمعة العصر المتحضر الذي يعيشون فيه، ويهينونه، ويلوثون ذكره في التاريخ!

أنواع التعذيب

وهم يتفننون في التعذيب وأساليبه ووسائله، ويتخذون منه أنواعًا كثيرة. وحسبك بالوحشية الضارية تستعين بالعلم وأدواته، لإنزال أشد ما يمكن من الألم والعذاب بالإنسان الضعيف.

والتعذيب الذي يرتكبونه نوعان: تعذيب فردي يرتكب في أفراد معينين لإكراههم على الاعتراف، وهو يجري في ظلام الليل، في أقبية وسراديب تحت الأرض. وتعذيب عام يرتكب في الجماعات لإرهاب الأهلين وارهاقهم والتشفي منهم. وهو يجري على ملأ الناس، في البيوت وفي الطرق، وفي ساحات القرى، بالليل وبالنهار.

التَّعذيب الفردي

•••

الزِّنزانة

أول درجات التعذيب الفردي «الزنزانة» وهي مكان ضيق في السجن، يلقون الشخص فيه وحيدًا، فلا يكاد يجد متسعًا ليستلقي عند النوم. ولا طعام إلا كسرة من أردأ الخبز مع الماء.

الضرب

وأبسط أنواع التعذيب الضرب. يضربون الشخص بالسياط، وبالأيدي، وبالأرجل، حتى يغمى عليه. ويتركونه حتى يفيق. ولا يزالون يضربونه ويتركونه حتى يصبح بين الحياة والموت. ويستعملون في الضرب سياطًا من الكاوتشوك. وأحيانًا يضربونه حتى تتورم رجلاه ويتشطب جسمه ثم يضعونه تحت رشاش من الماء البارد زيادة في إيلامه. وتارة يقف بعض الجنود الإنكليز فيبول عليه.

التهديد بالقتل

ويخرجون المسدسات، ويصوبونها إلى وجهه. ويقتربون بها منه حتى تكاد تلامسه، ويهددونه بإطلاقها عليه.

الزجاج والمسامير

ويأخذونه إلى مكان أثبتت في أرضه قطع الزجاج ورؤوس المسامير ويكرهونه على المشي والقفز فوقها. وقد وقف على الجانبين اثنان من الزبانية بيد كل منهما سوط. فإذا تلكأ انهالت السياط عليه. فلا يزال

يقـوم ويقـع، والـدم ينـزف مـن رجليـه ويديـه وسـائر جسـمه، حتـى يرتمـي آخـر الأمـر منهـوكًا أو مغمـى عليـه.

وينزعـون ثيابـه، ثـم يضربونـه بألـواح مـن الخشـب دقـت فيهـا مسـامير فيسـيل دمـه.

الركوب على الخشب

ويركبونـه عـلى خشـبة، ويربطـون في رجليـه أثقـالًا مـن أكيـاس الرمـل حتـى يغمـى عليـه.

ربط الإبهامين

ويقرنـون رجليـه، ويربطـون ابهاميهـما بسـلك مـن الحديـد ثـم يشـدونه حتـى تـكاد إبهامـه تنقطـع.

شد الأعضاء التناسلية

ويلقونـه عـلى ظهـره، ويربطـون أعضـاءه التناسـلية برباط متصـل ببكـرة في السـقف، ثـم يجذبـون الحبـل شـيئًا فشـيئًا حتـى يغمـى عليـه.

بـل لقـد حـدث أن ربطـوا رجـلًا مـن عضـوه التناسـلي وجعلـوا يسـحبونه منـه. ثـم جـاءوا بمقـص ومنشـار مـما يسـتعمله الأطبـاء، وأخـذوا ينـشرون فيـه ويشرطونـه حتـى تركـوا فيـه آثـارًا ظاهـرة.

تقليع الأظافر والشـعر

ويقلعـون أظافـره بكلاليـب خاصـة، واحـدًا بعـد واحـد، ويشـدونه مـن شـاربيه ولحيتـه إذا كان ملتحيًـا، وينتفـون شـعره.

صب الماء في الجوف

ويصبون الماء في فمه بواسطة محقن خاص، حتى يملؤوا جوفه، وينتفخ كالقربة. فيتألم أشد الألم.

الكي بالنار

ويحمون أسياخ الحديد أمامه، حتى تلتهب كالجمر، ثم ينخسونه بأطرافها ويأتون بالمسامير المحماة بالنار ويغرزونها تحت أظافره.

التعذيب بالكهرباء

ويضعون في يديه جهازًا كهربائيًا، ويسلطون عليه تيارًا كهربائيًا أقل قوة مما يكفي للموت. فيرتعد، ويضطرب، ويختلج، ويحس

بروحه تزهق، ويرى الموت في كل ثانية مرة، وهو لا يستطيع أن يلقي الجهاز من يديه لأن الكهرباء تثبته، كأنما قرنت يداه به برباط متين.

الجريمة الخلقية

على أن هناك شرًا من ذلك كله، على ما فيه من وحشية مغرقة، وقسوة متناهية. هناك الجريمة الخلقية الشنعاء. لقد انحط القوم إلى درجة أنهم يعدون أشخاصًا من أسفل زبانيتهم المجرمين، ويعرضونهم على الإنسان الواقع تحت عذابهم ويهددونه بأن يحملوهم على ارتكاب الفعل الشنيع معه! وقد ينفذون التهديد بالفعل!!

التعذيب الفني

ويسيرون في التعذيب على أساليب فنية ليبلغوا من الإيلام أقصى ما يمكن أن يحتمله الإنسان. فهم يراوحون الشخص بين التعذيب إلى درجة الاغماء، والراحة حتى يفيق ويسترد قواه، وقبل أن يشرعوا في تعذيبه يعدون له العلاجات والأدوية حتى إذا سال دمه من الضرب بالمسامير أو المشي على الزجاج مثلًا، بادروه (بالسبرتو وصبغة اليود) يمسحون بهما جراحه. وإذا أحدثوا فيه جراحًا بليغة فالقطن والشاش والأربطة حاضرة وإذا أغمي عليه جاؤوه بالمنبهات. وإذا زاد الأمر على ذلك أرسلوه إلى مستشفى السجن، وقد أحدثوا فيه قسمًا خاصًا بالمعذبين، حتى إذا شفى عادوا به إلى العذاب الشديد. ويستمرون في مراوحة الشخص بالعذاب أيامًا وأسابيع.

إخفاء آثار التعذيب ولو بالقتل

وفي الأكثر يستعملون من أنواع التعذيب ما لا يترك أثرًا ظاهرًا والشخص الذي يظهر على جسمه شيء من آثار التعذيب يخفونه ولا يدعون أحدًا يراه حتى تزول الآثار. فإذا بقيت عليه آثار قوية في مكان ظاهر فقد يجهزون عليه ويقتلونه ويظهرون أنه مات ليخفوا أثر الجريمة.

التعذيب بالإغراق

ومن افتتانهم في التعذيب، أن رجلًا اتهم في حادثة قتل «المستر اندروز» حاكم الناصرة. فعذبوه عذابًا شديدًا ليكرهوه على الاعتراف ولم ينالوا منه شيئًا؛ فأخذوه إلى البحر وساروا به في زورق بخاري، ثم

ربطوا في رجليه أثقالًا، وأفهموه أنهم يريدون أن يغرقوه. فاستمهلهم قليلًا وتوضأ وصلى ركعتين وجعل يردد الشهادتين. ثم ألقوه في البحر بالفعل، حتى أشرف على الغرق. ولكنهم عادوا فأخرجوه، وإنما كانوا يقصدون تعذيبه وإكراهه على الاعتراف.

الإسكار والتخدير

ويتصل بالتعذيب الحمل على الاعتراف، الاسكار والتخدير، بالمسكرات والمخدرات. يجرعون القرويين الخمر بالإكراه، يصبونها في حلوقهم. ويحنقونهم بالمورفين. ويشممونهم الكوكائين والهيروئين. فعلوا هذا مع رفاق الشهيد المرحوم الشيخ فرحان السعدي الذين اعتقلوا معه. وهم مشايخ من أتباع الطرق الصوفية، ولم يعرفوا هذه الأشياء في حياتهم. فكان جرمهم فيهم مضاعفًا.

سراديب التعذيب

والتعذيب يجري في أقبية تحت الأرض، في دائرة المباحث الجنائية بالقدس. فإذا أرادوا وضع شخص تحت العذاب، فهم ينقلونه أولًا إلى قشلاق البوليس بالقلعة، ويضعونه في مكان ضيق هناك يحشر فيه عادة نحو أربعين رجلًا، ويبلغون أحيانًا ثمانين. فيبقونه هناك مدة تتراوح بين عشرين وثلاثين يومًا، حتى يجيء دوره، فيأخذونه في الليل إلى أقبية التعذيب، وهو معصوب العينين، ويشرعون في التعذيب بعد منتصف الليل. حتى إذا فرغوا من تعذيبه تلك الليلة، وأغمى عليه من ألم العذاب، ووجدوا أن المكان يضيق بالمعذبين الكثيرين، نقلوه وهو في إغمائه إلى مخفر البوليس في حي يهودي بالقدس هو «مخفر

ميشوريم» فإذا أفاق وجد نفسه هناك فيبقونه إلى الليل، ثم يعودون به إلى أقبية التعذيب. وهكذا دواليك

سجن التعذيب

وقد أنشأوا في المدة الأخيرة سجنًا خاصًا للتعذيب وذيوله، أقاموه في جبل الطور بظاهر القدس، وأوسعوا فناءه حتى لا يسمع الصياح والأنين، وأحاطوه بسياج من الأسلاك الشائكة وأقاموا عليه الحراس من الإنكليز لا يدعون أحدًا يقترب منه، وبالغوا في كتمان أمره حتى لا تشيع موبقاتهم فيه، ولم تكشفه إلا الصدفة.

إخفاء المعذبين

والأشخاص الذين يعذبونهم يخفونهم أثناء العذاب عن أهلهم وعن سائر الناس، ولا يمكنون أحدًا من زيارتهم أو معرفة مكانهم. ويظل أهلهم يسألون عنهم فلا يجابون، ويدورون على السجون يفتشون عليهم ولا يهتدون. حتى يفرغوا من تعذيبهم، وحتى تزول آثار التعذيب من أجسامهم. فينقلوهم من أقبية التعذيب إلى سجن القدس أو عكا، أو إلى معتقل المزرعة. وحينئذ يعرف مصيرهم.

زبانية التعذيب

والذين يتولون التعذيب ثلاثة من ضباط المباحث الجنائية الإنكليز واليهود: ريكز. وروبنسون، وصوفر. والثالث يهودي، والأول صنيعة لليهود تساعده فئة من أشرس رجال البوليس الإنكليز واليهود.

والذيـن يتولـون الـضرب وينفـذون التعذيـب هـم مـن اليهـود، زيـادة في النكايـة.

الشتائم

وأثنـاء التعذيـب ينهالـون عـلى السـجين الواقـع تحـت سـياطهم بمختلـف الشـتائم والإهانـات. يبصقـون في وجهـه، ويشـتمون دينـه، وربـه، ونبيـه، ومفتيـه!

بعض ضحايا التعذيب

وضحايـا التعذيـب كثـيرون. بينهـم أنـاس مـن أرفـع الطبقـات، وأكـرم العائـلات، ومـن أصحـاب أسـمى المراكـز. كالأسـتاذ راسـم الخالـدي، مسـاعد مسـجل الجمعيـات التعاونيـة بفلسـطين. وهـو مـن كبـار الموظفـين، ومـن أرقـى أبنـاء العـرب تهذيبًـا وثقافـة، وأوسـعهم فكـرًا، وأفضلهـم خلقًـا. سـجن ووضـع في «الزنزانـة» وأهـين وعـذب حتـى مـرض. ولم يسـمحوا لأحـد بـأن يـراه خـلال ذلـك. ثـم نقلـوه إلى مستشـفى السـجن.

والسـيد ديـاب الفاهـوم، وهـو موظـف بالنـاصرة، ومـن عائلـة الفاهـوم المعروفـة فيهـا. عـذب عذابًـا شـديدًا، وأخفـى أمـره حتـى فقـد الأمـل مـن حياتـه.

والسـيد عبـد المحسـن قطينـة مـن القـدس. جعلـوا يقلبـون عليـه أنـواع العـذاب أسـبوعًا كاملًا، حتـى سـاءت حالتـه. ولم يسـمحوا لأحـد برؤيتـه إلى أن بـرئ واندملـت جراحـه وزالـت عنـه آثـار التعذيـب.

والسيد عبد الرحمن المكاوي من تجار القدس. وهو رجل ضعيف البنية، لم يحتمل ما أنزلوه به من العذاب الشديد، ومرض من جرائه مرضًا شديدًا حتى أشرف على الموت.

والسيد أحمد حسين الغول، وجيه قرية «سلوان» بجوار القدس. ساموه من العذاب أشده، على مختلف أنواعه، حتى إذا أعي ولم يعد يحتمل الزيادة نقلوه إلى المستشفى. ثم عاودوا تعذيبه. وظل يتردد بين العذاب والمستشفى حتى أشرف على الموت. ولبث بعد ذلك مريضًا مرضًا شديدًا مدة شهر كامل قضاه في مستشفى السجن.

والسيد عبد الرحمن شحدة، من قرية «لفتا» بجوار القدس. قلعوا أظافره، وكووه بالنار وعذبوه أشد العذاب وأوجعه.

والسيد سامي الأصفر، من يافا، قلبوا عليه أنواع العذاب كلها ما عدا تقليع الأظافر. فلما استيأسوا منه أبقوه حتى زالت آثار التعذيب عنه، ثم أرسلوه إلى معتقل المزرعة.

والسادة محمد الترهي، واسحق الشامي، وسعيد المكليك، من القدس.

والسيد فهمي الطرطوزي، من حيفا، وهو شاب مثقف. وقد عذب عذابًا شديدًا، ثم شوهد ذات يوم يسقط ميتًا من الطابق الثالث في دائرة البوليس بحيفا حيث كان يعذب، إلى الشارع العام. وقد شاعت عن موته روايتان: أحداهما أنه لم يطق احتمال العذاب الشديد ورأى أن يتخلص منه بالموت. فألقى نفسه ومات منتحرًا. والرواية الأخرى

أنـه مـات تحـت العـذاب، فـرأى الانكليـز سـترًا لجرمهـم أن يظهـروا أنـه انتحـر، فألقـوه مـن السـطح وهـو ميـت، وأشـاعوا عنـه الانتحـار، ومهـما يكـن، فكلتـا الروايتـين تـدل عـلى مبلـغ القسـوة في التعذيـب.

وأعتقـل مـرة ثمانيـة مـن المـارة، عـلى أثـر إلقـاء قنبلـة بجـوار مركـز البوليـس. فضربوهـم وعذبوهـم عذابًـا شـديدًا بقيـت آثـاره عـلى أجسـامهم وسـمعت الجمعيـة الإسـلامية بأمرهـم. فطلبـت أن ترسـل إليهـم طبيبًـا يعاينهـم فرفـض طلبهـا. واخفوهـم أربعـة أيـام حتـى زالـت آثـار الـضرب عنهـم. وعـرف بعـد ذلـك أنهـم أخفوهـم في الإسـطبل.

واعتقـل المرحـوم سـامي الأنصـاري، مـن القـدس، بعـد أن أصيـب برصاصـة قاتلـة. فجعلـوا يضربونـه بأرجلهـم ويجرونـه جـرًا عنيفًـا وهـو جريـح مـشرف عـلى المـوت. ولمـا حضرتـه الوفـاة طلـب مـاء ليـشرب، فمنعـوا عنـه شربـة مـاء وهـو يحتـضر.

ومـن ضحايـا التعذيـب، قافلـة مؤلفـة مـن نحـو عشريـن رجـلًا مـن جهـات النـاصرة وجنـين وبيسـان وطولكـرم ونابلـس. هـذه القافلـة عذبـت أشـد عـذاب سـمع بـه. وقـد أخفـوا أمرهـا وكتمـوا مكانهـا، ولا يعـرف مصـير أكثرهـا حتـى الآن. والمفهـوم أن بعـض رجالهـا مـات تحـت العـذاب. وكان مـن هـذه القافلـة المرحـوم الشـيخ محمـد أبـو جغـب مـن قريـة «قباطيـة» التابعـة لجنـين. وهـو شـيخ مـن علـماء الديـن تخـرج مـن الأزهـر، وقـد عذبـوه العـذاب الشـديد بمختلـف أنواعـه. وفي النهايـة هـددوه بالفعـل الشـنيع!! فلـما بلغـوا مـن عذابـه هـذه الدرجـة، جـن المسـكين وطـار صوابـه. ومـن هـذه القافلـة أيضـا السـيد راجـح العبـوشي مـن جنـين، وهـو

شاب متعلم صغير السن عمره ثمانية عشر عامًا. ومنها طلال الحسين، ودهش الحسين، وفارس العجاوي، من قرية «دير أبو ضعيف» التابعة لجنين، وأحمد الصفوري وصالح أحمد العفيفي من قرية «صفورية» بقضاء الناصرة. وهذا الأخير جن وفقد عقله من شدة العذاب!

وجيء يومًا إلى معتقل المزرعة بثلاثة من شيوخ القرى في جبل الخليل وهم في حالة ذهول. فلما انتبهوا من ذهولهم جعلوا يبكون بكاء مرًا. وأجتمع حولهم المعتقلون يواسونهم ويهدئون روعهم ويسألونهم عن أمرهم. وكانوا كلما سكنوا وسئلوا عما بهم، يعودون إلى البكاء بمرارة وألم. حتى إذا هدأوا قليلًا قال أحدهم وأمسك بلحيته: «أبعد هذه الشيبة يفعلون بنا هذا؟ قد احتملنا كل أنواع العذاب. إلا هذا» وإذا بهم قد عذبوا عذابًا شديدًا، وكان آخره وأحطه ارتكاب الجريمة الخلقية السافلة.. فيا للنذالة! إلى أي درجة قد أنحط هؤلاء الإنكليز حتى في أساليب التعذيب البربرية؟ وضحايا التعذيب غير هؤلاء كثيرون.

ضرب المعتقلين

وكثيرًا ما يضربون المعتقلين في «معتقل المزرعة» ضربًا مبرحًا لأتفه الأسباب. أضرب المعتقلون عن الطعام مرتين احتجاجا على سوء المعاملة، وعلى تجديد مدة اعتقالهم مرة بعد مرة بدون تهمة معينة. فكان السجانون الإنجليز وضباطهم يحاولون أن يرغموهم على فك الإضراب بالإهانة والضرب الشديد الذي يؤدي بالكثيرين منهم إلى المستشفى.

وكان ممن ضرب في المعتقل فضيلة الأستاذ الشيخ حلمي المحتسب رئيس كتاب المحكمة الشرعية في بيسان، والسيد سعد الدين العارف،

والسيد عبد الحميد شومان، الرئيس العام للبنك العربي في فلسطين، وكثير غيرهم. وكان ضرب السيد شومان عنيفًا جدًا حتى أنه أغمى عليه. وقد جروه إلى خارج المعتقل جرًا، ومزقوا ثيابه وأرسلوه إلى السجن المركزي في عكا. ولما بلغ السجن كان في حالة أوجبت نقله فورًا إلى المستشفى.

شكوى

وقد سجلت هذه الحادثة في كتاب أرسله السيد عبد المجيد شومان أبن السيد عبد الحميد المذكور إلى السكرتير العام لحكومة فلسطين، وهذه صورته:

«القدس ٢٩ أبريل ١٩٣٨

سعادة السكرتير العام لحكومة فلسطين المحترم يوجه الموقع امضاءه أدنى عبد المجيد شومان أبن عبد الحميد شومان انظاركم إلى التدقيق في الشكوى الآتية واتخاذ التدبير الذي تقتضيه العدالة.

حوالي ٢٠ شباط (فبراير) ١٩٣٨ أعتقل والدي في القدس وأبقي تحت الحفظ مدة تزيد على خمسة عشر يومًا. ومن هناك نقل إلى السجن المركزي في عكا حيث أبقي مدة ثلاثة أسابيع تقريبًا. وبعد ذلك نقل إلى معتقل المزرعة حيث لا يزال إلى اليوم.

فيوم الأربعاء ٢٧ أبريل الجاري تلقيت نبأ بأن والدي ضرب بقساوة من البوليس في المعتقل ثم أرسل إلى السجن المركزي في عكا. ولما كنت مقيدًا بإدارة عملي في البنك لم أستطع زيارة والدي قبل اليوم وهو

الجمعة الذي هو يوم تعطيل في بنكنا ويوم زيارة المعتقلين. ففي هذا الصباح زرت والدي وكان معي بعض الأصدقاء فأدلى إليّ بالشكوى التالية: يوم الثلاثاء الماضي دخل نحو أربعين كونستبلًا بريطانيًا إلى المعتقل الموجود والدي فيه وجروه إلى الخارج. ولما سأل عن السبب في هذه المعاملة أجابوه بالضرب الشديد. فمزقوا ثيابه وقسوا عليه بفظاعة حتى أنه لما بلغ السجن المركزي كان في حالة أوجبت نقله توًا إلى المستشفى وقال إن أحد أطباء الحكومة فحصه لكنه لم يعطه تقريرًا بنتيجة الفحص.

وقد رأيت والدي اليوم وهو في حالة لا يستطيع المشي إلى المكان المعين الزيارة وكان يشكو ألمًا عامًا في جسمه وأصر على إحضار طبيب لا لفحصه فقط، بل لمعالجته أيضًا.

لم أتوصل إلى معرفة السبب في هذه المعاملة لأبي. لأنه هو نفسه يجهل السبب، وهي معاملة لم يسبق لها مثيل في أية بلاد ذات درجة من أقل درجات التمدن.

إن أنظمة الطوارئ الغريبة تخول البوليس سلطة إصدار أمر بسجن شخص أو اعتقاله مدة تبلغ سنة دون إعلان السبب في ذلك. ولكن القانون لا يسمح بضرب سجين وتعذيبه.

نعم إن المحاكم القضائية ممنوعة من النظر في هذه الأمور لكن العدالة نفسها تقتضي تحقيقًا في سلوك المسئولين عن هذا الاعتداء حتى إذا كانت شكواي في محلها يلقون عقوبة قاسية على معاملتهم البعيدة عن الإنسانية.

وقد أرسلت صورة من هذه الشكوى إلى المفتش العام للسجن المركزي في عكا كي يقدم إليكم ملحوظاته عليها.

وتفضلوا إلخ ...

(الإمضاء) عبد المجيد شومان»

في السجن

وقد أخذوا إلى السجن مع السيد عبد الحميد شومان نحو (٤٥) من المعتقلين، فيهم فضيلة الشيخ حلمي المحتسب. وإليك ما رواه أحد هؤلاء عن المعاملة التي عوملوا بها في السجن، وقد نقلها أحد رفاقهم بعد أن خرج من المعتقل:

«أخذونا إلى ثلاث غرف في السجن المركزي ووضعونا فيها، وكانت كل غرفة مخصصة في الأصل لأربعة أشخاص، فوضعوا فيها خمسة عشر. وأقفلوا علينا الأبواب الداخلية ثم الأبواب الخارجية، وذهبوا وتركونا، من الساعة ١٢ ظهرًا إلى الساعة السادسة من مساء اليوم الثاني ونحن خمسة عشر في غرفة صغيرة مظلمة لا تدخلها الشمس، ولا النور ولا منفذ ولا مكان لقضاء الحاجة. كنا (٤٥) في ثلاث غرف، كنا نختنق من ضيق النفس والزحام. بحت أصواتنا الضعيفة وخارت قوانا المنهوكة. نادينا الحارس: يريد البعض منا أن يقضي الحاجة، فأين بيت الخلاء؟ ولكن لا سميع ولا مجيب.

وفي مساء اليوم التالي أحضروا لنا تنكة ماء للشرب وأقفلوا علينا الأبواب وذهبوا ثانية دون أن يكلمونا وتركونا في الظلام. وكانت التنكات التي جلبوا فيها الماء تسيل، فسال جميع الماء تحتنا. فتصور كيف قضينا الليل. نحن أعلنا الإضراب عن الطعام انتصارًا للمظلومين من إخواننا. ولكن هؤلاء الإنكليز أبناء المدنية أرادوا أن يميتونا عطشًا واختناقًا. بمثل هذه الشدة والوسائل الدنيئة حاولوا أن يرجعونا عن الإضراب».

وثيقة

ونود أن نختم البحث بوثيقة عن هذا القسم من التعذيب. وهي شهادة سجلت لدى المحكمة المركزية بحيفا معززة باليمين، أداها أخ لأحد المساكين الذين راحوا ضحية التعذيب:

«أنا محمود بن أحمد العفيفي من أهالي صفورية أقرر بعد القسم ما يلي: لي أخ يسمى صالح أحمد العفيفي يبلغ من العمر ٣٣ سنة تقريبًا متزوج وله ثلاثة أولاد وساكن في الناصرة

بتاريخ ٢٨ - ١٢ - ٣٧ حضر أخي إلى صفورية ليأخذ زيتًا من ماله عندنا فحضر أفراد بوليس بريطاني حوالي الساعة والنصف بعد الظهر وألقوا القبض عليه وساقوه للناصرة. حالما سمعت ذهبت توًا الناصرة وسألت في دائرة البوليس هناك عن أخي فقيل لي أنه أخذ للقدس وبثاني، أو ثالث يوم سافرت للقدس التحاقًا بأخي ومعي مفلح أمين الطه من صفورية أيضًا. وصلنا القدس وبقينا يومين هناك ولما لم أكن أعرف أحدًا رجعت دون أن أقابل أحد إلى الناصرة

بعدها بسبعة أو ثمانية أيام ذهبت إلى القدس مع شخص يدعى عبد الله اللبناوي وهناك قابلنا الأستاذ هنري كتن لأستشيره فخابر مركز تحقيق الجرائم عن مكان أخي فقيل له أنهم لا يعلمون أين هو.

سلمني الأستاذ كتن تحريرًا لحاكم لواء الجليل يستفحص فيه عن الإجراءات التي اتخذت ضد أخي فأخذت التحرير ورجعت إلى الناصرة وهناك سلمني كاتب حاكم اللواء جوابًا على سؤال الأستاذ كتن فيه أن أخي صدر بحقه أمر توقيف بتاريخ ٣١ - ١٢ - ١٩٣٧ لمدة شهر واحد وفقًا لقانون الطوارئ فأخذت هذ الجواب ورجعت إلى القدس.

فبتاريخ ٣٠ - ١ - ٣٨ أرسل الأستاذ كتن تحريرًا إلى مدير الأمن العام يستفهم فيه عن مكان أخي فورد جواب مؤرخ في ٢٨ - ١ - ١٩٣٨ فيه أن أخي معتقل في عكا بموجب قانون الطوارئ وأنه إذا كنا نرغب إرسال ملابس له يجب أن ترسل إلى مساعد مدير البوليس بسجن القدس المركزي.

فبتاريخ ٣٠-١-٣٨ أو حواليه تقريبًا ذهبت إلى القدس وأخذت معي ألبسة وفاكهة لأخي لاعتقادي أنه موجود في القدس وقبل ذهابي إلى قسم تحقيق الجنايات قابلت الأستاذ كتن فأفهمني على جواب مفتش العام فذهبت إلى قسم تحقيق الجنايات وهناك سلمت الثياب والفاكهة إلى الضابط روبنسون والشاويش أتيل وطلبت منه أن يعيد لي الثياب المستعملة فقالوا لي أنهم يستلموا مني الثياب ليرسلوها إلى عكا.

ولما علمت بهذه الصورة أن أخي موجود في عكا ذهبت إلى عكا وهناك قدمت استدعاءات باسم والدي لمدير سجن عكا للاستفهام منه عن محل وجود أخي وقد أرسلت هذه الاستدعاءات في البريد المسجل من عكا فلم يردنا جواب.

عندها راجعت الأستاذ فؤاد أفندي عطا الله في حيفا وأخبرته بما توقع فأرسل تحريرًا لمدير سجن عكا ومعه وكالة ملصق عليها الطوابع اللازمة لكي يوقع أخي على الوكالة وانتظرت طويلًا فلم يرد جواب فذهبت إلى القدس وفي هذه المرة أيضًا أخذت معي ثيابًا وفاكهة وذهبت إلى قسم تحقيق الجنايات وهناك قابلني روبنسون فسلمته النيابة وطلبت منه ثانية الثياب المستعملة فلم يعطني إياها وقال لي نفس القول أنهم يرسلون الثياب إلى عكا وبنفس الوقت سلمني الوكالة التي كان أرسلها فؤاد أفندي عطا الله تحمل توقيع أخي ومشهود عليها من قبل الشاويش أتيل ووقعت وصلًا بها سلمته للمستر روبنسون.»

وفي كل مرة كنت أذهب إلى قسم تحقيق الجنايات كنت أطلب مقابلة أخي فيرفضون ذلك. بعدها بمدة وجيزة ذهبت إلى القدس ومعي ثياب أيضًا وسلمتها للمستر روبنسون وفي هذه المرة فقط سلموني بدلتين فأخذتهم

لم أترك وسيلة شرعية إلا استعملتها للوصول إلى مكان أخي وزيارته فلم أنجح. مؤخرًا بيوم الاثنين في ٢٠ - ٣ - ٣٨ تقريبًا تسلمت تحريرًا

مـن أخـي غـير مـؤرخ ولا مبـين فيـه محـل صـدوره فيـه يطلبنـي وزوجتـه وأولاده لرؤيتـه يـوم الأربعـاء في ٢٣ - ٣ - ٣٨ وقـد ورد هـذا المكتـوب بظـرف مصـدره بوسـطة القـدس.»

ذهبـت أنـا وزوجـة أخـي وأولاده ووالـدتي لرؤيـة أخـي فقابلنـاه في غرفـة ضمـن غـرف مركـز البوليـس العـام في القـدس وهنـاك كان حـاضرًا عـلى المقابلـة كل مـن المسـتر صوفـر وكامـل أفنـدي إيـراني والشـاويش أتيـل فوجدنـا أخـي بحالـة غيبوبـة فاقـدًا شـعوره هزيـلًا لا يعـي مـا يقـول، وأعتقـد أنـه دخـل عليـه مـس في عقلـه يظهـر أنـه نتيجـة شـدة وتعذيـب وآلام تحملهـا طـول هـذه المـدة.»

فتثبيتـا لما ذكر أوقع إمضائي

جـرى تحليـف السـيد محمـود بـن أحمـد العفيفـي بحضـوري أنـا جميـل حبيبـي مسـجل محكمـة حيفـا المركزيـة بهـذا اليـوم

من شـهر سـنة ١٩٣٨ بعد أن جري تعريفه لدي

انتهى»

**

تسـتخلص من هذه الوثيقة الأمور الآتية:

١ - إخفاء المعذبين.

٢-تضليـل أهلهـم حـين يسـألون السـلطات عنهـم، وعـدم تمكينهـم مـن رؤيتهـم أو مـن معرفـة مقرهـم.

٣- طـول أمـد التعذيـب. فقـد أعتقـل هـذا المسـكين بتاريـخ ٢٧ - ١٢ - ١٩٣٧ وظـل أمـره مجهـولًا إلى يـوم ٢١ - ٣ - ١٩٣٨ وظاهـر أنـه كان يعـذب طـول هـذه المـدة وهـي نحـو ثلاثـة أشـهر.

٤-القسـوة الوحشـية البالغـة في التعذيـب. فقـد انتهـت هـذه المأسـاة بالجنـون، والجنـون لا يحـدث مـن أمـر بسـيط.

ولم يكـن هـذا بالشـخص الوحيـد الـذي انتهـى التعذيـب بـه إلى الجنـون فقـد جـن أكـثر مـن واحـد غـيره، وكان مـن زملائـه في التعذيـب وفي الجنـون مـن جرائـه، المرحـوم الشـيخ محمـد أبـو جغـب.

وثيقة أخرى

وهـذه وثيقـة ثانيـة، سـجلت لـدى قـاضي الصلـح في حيفـا حسـن أفنـدي المـكاوي، عـلى شـكل شـهادة معـززة باليمـين:

«أنـا مصطفـى بـن عبـد الرحمـن المصلـح مـن قريـة صفوريـة التابعـة للنـاصرة والسـاكن في حيفـا أشـهد بعـد القسـم بمـا يـلي:

مـن ثمانيـة عـشر يومًـا حـضرت قـوة مـن البوليـس إلى منـزلي وفتشـوه تفتيشًـا دقيقًـا فلـم يجـدوا فيـه شـيئًا بعـد أن خربـوا مـا فيـه ومـا في بيـوت الجـيران وبعدهـا ذهبـوا إلى منـزل أخـي أحمـد المصلـح وفتشـوه أيضًـا وبعـد التفتيـش أخـذوا أخـي المذكـور معهـم وقـد حاولـت زيارتـه أولًا وثانيًـا وثالثًـا فرفـض البوليـس ذلـك ولكـن الحـراس كانـوا يأخـذون منـي الأكل لأخـي فقـط كـما أنهـم رفضـوا أن يوقـع أخـي عـلى ورقـة وكالـة المحامـي وأمـا أسـباب سـجن أخـي فلـم نعرفهـا.

وقبل ستة أيام ذهبت إلى إدارة حركة المرور (الترفك) في حيفا حيث أخي مسجون لتقديم الأكل له كالعادة مع زوجته فمنعنا أيضًا من مشاهدته ولكن صادف أن أخرج لقضاء الحاجة فشاهدته وكان مربوط الرأس بالشاش الأبيض فقال لي عن بعد، أنا مطبش وقفوا لي محامي حتى يسعي الكشف علي من الطبيب، وقد أخبرتني زوجة أخي التي تمكنت من زيارته يوم الجمعة المصادف في ١٥ - ٤ - ١٩٣٨ بأن أخي أخبرها بأن رجال البوليس يأخذونه كل يوم لدار عزيز خياط بعد الظهر للتحقيق ويضربونه هناك، وهنا أخبرها بقوله: منشان الله وقفوا لي محامي. «تحريرًا ٢٠ - ٤-٣٨»

سجلت أمام حسن أفندي مكاوي حاكم الصلح ٢٠ - ٤ - ٩٣٨ نمرة ٢٤٣٧٨٩»

(انتهى)

تعذيب الجماعات

وهناك أنواع أخرى من التعذيب تصب على الجماعات في القرى والمدن صبًا. وتكون في الأكثر على أثر الحوادث التي يقوم بها المجاهدون أو المعارك التي تقع بينهم وبين الإنكليز. فإذا عجزت فرق الجيش وقواته، وطائراته ودباباته، عن أن تنال من المجاهدين نيلًا كما هو شأنهم دائمًا، انقلبوا إلى الفلاحين المساكين وهم آمنون في بيوتهم، ينتقمون منهم ويشفون صدورهم بتعذيبهم.

والضرب الشديد بأعقاب البنادق والهراوات الغليظة، بلا شفقة ولا رحمة، وبدون تفريق بين الصغار والكبار، والمرضى والأصحاء، الضرب

إلى درجة التهشيم وتكسير الأعضاء، وأحيانًا إلى درجة الموت، والذي يسفر عن إرسال العشرات إلى الأطباء والمستشفيات، وهو أحد أنواع التعذيب الشائعة التي يرتكبونها في جماعات الأهالي الآمنين وهو يصحب دائمًا عمليات التفتيش التي يقومون بها في القرى والمدن.

وعمليات التفتيش هذه هي أعمال إرهابية انتقامية يقوم بها الجند الإنكليز دائمًا بقصد الترويع والإرهاب والإرهاق والانتقام. ويرتكب خلالها من الفظائع ما تقشعر له الأبدان.

نتيجة التَّفتيش - عائلة عربيَّة هشَّمَ الجُندُ أفرادها وخرَّبوا بيتها

لا تـكاد توجـد قريـة في فلسـطين سـلمت مـن التفتيـش وفظائعـه. وإذن فـلا تـكاد توجـد قريـة في فلسـطين سـلمت مـن «التعذيـب» الـذي يرافـق التفتيـش. هـذا عـدا الفظائـع الأخـرى التـي هـي قـوام التفتيـش وحقيقتـه، مـن تخريـب البيـوت، وإتـلاف مـا فيهـا مـن مؤونـة وأمتعـة، ونهـب مـا تقـع اليـد عليـه مـن حـلى وأمـوال، وترويـع النسـاء والأطفـال، وقتـل الآمنـين في بيوتهـم وعـلى قارعـة الطريـق، مـن رجـال ونسـاء وأطفـال.

وقـد أصبحـوا لا يكتفـون مـن تعذيـب الآمنـين بالـضرب والترويـع وجعلـوا يتفننـون في تعذيبهـم فنونًـا كثـيرة، وبلغـوا مـن ذلـك أن صـاروا يتخذونـه تسـلية ولهـوًا.

نتيجـة التَّفتيـش - طفـل لم يسـلم مـن أذى الجُنـد حـين خرّبـوا بيـت عائلتـه باسـم التَّفتيـش

وإليك أمثلة من أفانينهم في تعذيب الجماعات:

حملة تخريب وتعذيب

في يوم الجمعة ٣ كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٣٧، وكان آخر يوم من شهر رمضان، ووقفة عيد الفطر، قام الجيش الإنكليزي بحملة من حملات التفتيش والتخريب والتعذيب، في منطقة واسعة من قرى الشمال، امتازت بالتفظيع الشديد والقسوة البالغة، وقلبت العيد في تلك القرى مأتمًا.

كفر كنا

ففي صباح ذلك اليوم ذهبت قوة من الجيش الإنكليزي إلى قرية «كفر كنا» من أعمال الناصرة. وأستدعى قائدها وجوه القرية وشيوخها، فألقى عمائهم عن رؤوسهم، وأوقفهم في الشمس حاسري الرؤوس. ثم كتفهم الجند، ورتبوهم صفوفًا، وجعلوا يرجمونهم بالحجارة من خلفهم، على رؤوسهم وظهورهم، حتى أسالوا دماءهم. ثم أخذوهم ودخلوا بهم القرية وهم على هذه الحالة، وأجروا فيهم عملية التفتيش والتخريب على طريقتهم المعروفة.

كفر مندا

وذهبت في ذلك اليوم قوة أخرى إلى قرية «كفر مندا» من قرى الناصرة أيضًا. فجمعوا الرجال في ساحة القرية، وجمعوا النساء في المسجد. ثم انطلقوا في بيوت القرية يجرون عملية التفتيش، بل النهب والتخريب. فلما لم يبقوا على شيء، جمعوا كمية مما صادفوه من البيض وبضع

جرار من الزيت، وعروا رجال القرية من ثيابهم، وصبوا الزيت على أجسادهم، ثم جعلوا يعفرونهم بالتراب، ويجبرونهم على التمرغ في الأقذار. ثم أوقفوهم هدفًا، وجعلوا يرجمونهم بالبيض ويتبارون في إصابة المرمي عليهم، وهم يتضاحكون ويقهقهون. ثم رتبوهم صفوفًا، وصوب الجند نحوهم بنادقه، وأمروهم بالركض مسافة طويلة. فإذا قصر واحد أو تأخر انهالوا عليه بالضرب الشديد، حتى بات أهل القرية في حالة يرثى لها مما لحق بهم من الضرب والعذاب والإهانة والخراب.

ولما غادر الجنود القرية صادفوا راعيًا أصم، ونادوه فلم يسمع ولم يجب. فأطلقوا عليه الرصاص وقتلوه.

إكسال وإندور

وذهبت قوات أخرى في ذلك اليوم أيضًا إلى قريتي «إكسال» و«إندور» من قرى الناصرة. فأجروا فيهما عملية التفتيش والتخريب والنهب المعتادة. وجمعوا الشيوخ وضربوهم ضربًا شديدًا. ثم أخذوهم في السيارات إلى خارج القرية. وهناك كلفوهم بجمع الحجارة ووضعها في السيارات. ثم أمروهم بأن يركضوا إلى القرية، وجعلوا يطاردونهم بسياراتهم، ويرجمونهم بالحجارة، والمساكين يجرون أمامهم وهم يصيحون، حتى دميت أجسادهم، وبلغ منهم الألم والأعياء أشده. ووقع فريق منهم مرضى لشدة ما نالهم من العذاب الأليم.

سخنين

وعذبوا أهل «سخنين» من قرى عكا عذابًا شديدًا وقتلوا واحدًا منهم اسمه «عبد الله الأحمد».

سحماتا

وفي قرية «سحماتا» من قرى صفد زادوا على فظائعهم المعتادة إن جمعوا وجوه القرية وشيوخها، وجاءوا بهم إلى بركة ماء فألقوهم فيها وأكثرهم لا يحسنون السباحة. وكان ذلك اليوم من أشد أيام الشتاء بردًا. وتركوهم إلى أن أسرع أهل القرية لإنقاذهم.

حوادث أخرى

وفي حوادث أخرى، كانوا يجبرون النساء على أن يحملن على رؤوسهن سلالًا مملوءة بالحجارة، ويرغمونهن على الركض بها، وهم يرجمونهن بالحجارة.

ويلقون الرجال في خوابي الزيت، ثم يدخلونهم في بيوت التبن ويعفرونهم به.

حتى الحيوان

وفي قرية «ترشيحا» من قرى عكا، جعل الجنود الإنكليز يتخذون أبقار القرية ومواشيها أهدافًا لرصاصهم ويتلهون بالمباراة في إصابة الهدف على مواقع معينة من أعضائها.

نزوح أهل القرى

وقد رافق هذه الحملات اعتداء على الأعراض. وكان من نتائجها أن بعض هذه القرى نزح أهلها عنها إلى المدن القريبة، ولجأ أكثرهم إلى مدينة عكا، ناجين بأرواحهم وأعراضهم. فامتلأ جامع الجزار الكبير والمساجد الأخرى باللاجئين منهم.

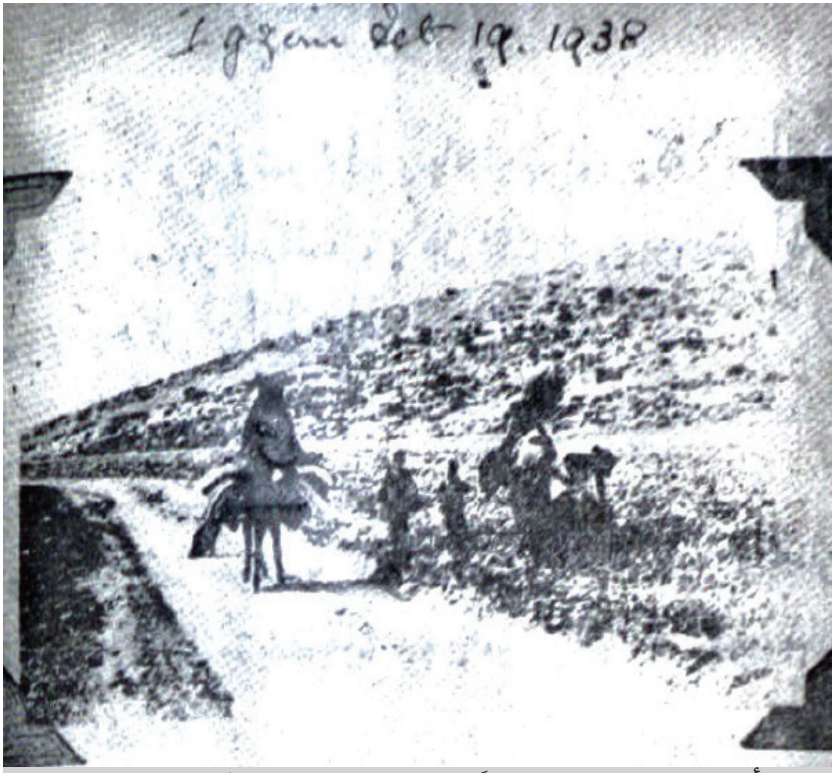

نزوح أهل القرى - عائلة تتهجَّر من قريتها بعد فظائع جيش الاحتلال الإنجليزيّ، وقد حملت معها القليل من متاعها الذي سلم من الإتلاف والتَّخريب

صفد

في صباح يوم الاثنين ١٠ كانون الثاني ١٩٣٨، قام الجيش الإنكليزي في مدينة صفد بعملية تفتيش وتخريب وتفظيع كانت من أشد ما عرف. وكان الجنود خلالها يجردون الرجال من ثيابهم ويشدونهم من خصاهم بخيوط تلهيًا وسخرية. وقد أجهض عدد من النساء الحوامل لشدة الرعب. وبعد أن أتموا التفتيش على هذا الوجه في حين من أحياء صفد: حي الأكراد، وحي الصواوين، فهمت السلطة أن أهل المدينة أصبحوا لا يتحملون المزيد، وأن شبابها عولوا بدافع اليأس على الاستماتة ومهاجمة الجيش، فتقع مذبحة لا تعرف نتائجها. وبناء على هذا كفت عن الاستمرار في التفظيع وتفتيش الأحياء الباقية، وسحبت الجيش.

سلوان

سلوان قرية بجوار القدس. جاءوها في الشطر الأخير من الليل، في أواخر تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٣٧، فأقاموا فريقًا منهم على التلال المحيطة بها، وأحاطوها بفريق ثان، ودخلها الفريق الثالث، ثم فعلوا فيها ما لا يتصوره العقل. دع الآن التخريب والتدمير وإتلاف القوت والمؤونة والمتاع، فإنما نحن بصدد التعذيب.

أحس بعض أهل القرية بحركة غير عادية، وأخذوا يخرجون من بيوتهم طلبًا للنجاة. فجعل الجنود المرابطون على التلال الغربية المشرفة على القرية يطلقون الرصاص بشدة على البيوت، فقتلوا رجلًا في بيته. والذين خرجوا أمسكهم الجنود وأعملوا فيهم الضرب بأعقاب

البنـادق والهـراوات الغليظـة، وجعلـوا يسـوقونهم ويسـلمهم فريـق إلى آخـر، فيتناوبـون عليهـم في الـضرب، حتـى أوصلوهـم إلى بيـدر القريـة.

ثـم دخلـوا البيـوت. وإن أحدهـم ليعمـد إلى الطفـل النائـم في فراشـه، ويجـذب الفـراش مـن تحتـه بعنـف وقـوة، فيتدحـرج الطفـل الـبريء عـلى الأرض عـدة أمتـار، ويفيـق مذعـورًا، مجروحًـا أو مهشـمًا، وينطلـق بالـصراخ والبـكاء مسـتغيثًا بأمـه وأبيـه، وأيـن منـه أمـه وأبـوه؟ ووجـدوا في أربعـة مـن البيـوت شـيئًا مـن البـارود الـذي يسـتعمل لقلـع الحجـارة، ويسـمونه «البـارود الحجـاري» ولم يكـن ممنوعًـا، ولا تـكاد تخلـو منـه قريـة مـن قـرى الجبـال، ويوجـد منـه دائمًـا في بيـوت الحجاريـن لحاجتهـم إليـه في مهنتهـم. فأمـا أصحـاب هـذه البيـوت فقـد هشـموهم بالـضرب تهشـيمًا حتـى غابـوا عـن الرشـد ووقعـوا عـلى الأرض يتخبطـون بدمائهـم، وحملـوا إلى المستشـفى وهـم بـين المـوت والحيـاة. وأمـا البيـوت فقـد جمعـوا مـا فيهـا مـن أقـوات وملابـس وفـراش وأمتعـة، وصبـوا عليهـا البـترول وأشـعلوا فيهـا النـار. وزعمـوا في بلاغهـم الرسـمي عـن الحادثـة أن الذيـن نقلـوا إلى المستشـفى سـقطوا عـن الاسـطحة عنـد محاولتهـم الهـرب، وإن البيـوت المحترقـة قـد احترقـت بطريـق الصدفـة!

ثـم جمعـوا رجـال القريـة في سـاحة البيـدر وأخـذوا في تعذيبهـم. فتـارة يضربونهـم بأعقـاب البنـادق والهـراوات عـلى رؤوسـهم وأكتافهـم وظهورهـم، وتـارة يجبرونهـم عـلى أن ينامـوا عـلى الأرض ثـم يدوسـونهم بالأحذيـة والنعـال. وتـارة يجبرونهـم عـلى الركـض، وهـم مـن خلفهـم يضربونهـم بأعقـاب البنـادق، وتـارة يطلـق الجنـود المرابطـون عـلى التـلال

بنادقهم على حين فجأة، فيحسب المساكين أن النار تطلق عليهم ويلقون أنفسهم على الأرض وهم في شدة الركض اتقاء الرصاص، فيقع الواحد منهم فوق الآخر، وينهال عليهم الجنود بالضرب ليقوموا. وقد جرح وتهشم من جراء ذلك عدد قريب من المائة. ومنهم رجل أسمه الحاج محمود أبو الصوي كسرت أضلاعه وأستمر عدة أشهر طريح الفراش.

وكانوا يفعلون هذا بهم على مرأى من نسائهم وأطفالهم. فكانت النساء كلما أبصرن الجنود يطلقون الرصاص ورجالهن يقعون على الأرض يحسبن أنهم أصيبوا، فينطلقن في الصياح والعويل. وكان عويلهن وبكاؤهن يسمع من مسافات بعيدة. ولم يسلمن من اعتداء الجند عليهن وضربهن وأطفالهن. وكان منظر تفتت له الأكباد.

يالو

وهذه قرية أخرى من قرى القدس. فعلوا فيها مثل الذي فعلوه في «سلوان» وزادوا عليه أن ربطوا الرجال من أعضائهم التناسلية بحبال ربطت في أطرافها الأخرى حجارة، ثم أجبروهم على الركض وهم يجرون الحجارة بين أرجلهم، والجنود من ورائهم يسوقونهم بالضرب الشديد.

بيت محسير

وهي من قرى القدس أيضًا. لم تبق فيها حبة من قمح ولا حفنة من مؤونة أو طعام إلا بعثرت وأتلفت. ولا لباس ولا فراش إلا مزق وأحرق. ولا رجل ولا امرأة، ولا شيخ ولا غلام، إلا أهين وضرب وعذب. ثم أخذوا منها نحو عشرين رجلًا، وقرنوهم بالحبال، ثم جعلوهم بين سيارتين مصفحتين، وجعلت السيارتان تعدوان بأقصى سرعة الرجل، في طريق جبلية صاعدة، وهم مجبرون على الركض بمثل سرعتها حتى لا تدوسهم السيارة الخلفية، ولبثوا على ذلك مسافة طويلة تبلغ بضعة كيلومترات، بدون وقوف ولا تمهل، حتى أوصلوهم إلى مخفر البوليس في قرية العنب.

الطيبة

وفي قرية «الطيبة» من قرى بني صعب، جمعوا نحو مائة وخمسين رجلًا من أهلها، ورتبوهم أزواجًا، وأرغموهم على الركض حول القرية طول النهار، ومن قصر أو تعب ضربوه بالسياط. وحاول اثنان أن يهربا. فأما أحدهما فأطلق الجند الرصاص عليه وأصابوه في كتفه. وأما الآخر فلحقوا به وأمسكوه، وتكاثروا عليه، فجعل يقوم بينهم ويقع، وهم يضربونه الضرب المبرح، حتى تمكنوا من شد وثاقه، بعد أن أشرف على الموت. وحمل الرجلان إلى المستشفى بنابلس في حالة خطرة، وعادوا إلى القرية مرة أخرى بعد مدة، فأجروا فيها من التفظيع ما حمل أهلها على النزوح منها.

عزون

وفي قرية « عزون » من قرى بنى صعب، بلغ عدد المجروحين والمهشمين بنتيجة التفتيش (٣٥) شخصًا بينهم أربع نساء.

قرى أخرى

ولقيت قرى أخرى كثيرة أمثال هذا العذاب أو أشد منه. ولا سيما قرى قوله، وسلواد، وعابود، ودير نظام، والظاهرية، وحلحول، وصفورية، وكفر جمال، وأم الفحم، وسيلة الظهر، والسيلة الحارثية، وقباطية، وحطين، والرينة، وشعب، والكابري، والذيب وقاقون، وجلجولية، وعرعرة، وحجة، واليامون، وعرابة، ويعبد، وبلعا، وعصيرة، وإجزم، والبعنة، وطيرة بني صعب، وطيرة حيفا، وميثلون، وعجة.. وفي عجة أجهضت امرأة حبلى من شدة الروع، وهي زوجة إمام القرية. وغير هذه القرى كثير.

ويطول بنا الحديث إذا أردنا أن نعد جميع حوادث التعذيب في الجماعات، ولسنا في مقام الاستقصاء، فحسبنا المثال. غير أننا نود قبل أن نختم الحديث أن نشير إلى نوع آخر من تعذيب الجماعات.

تعذيب الجماعات - فريق من أهل قرية الطّيرة «بني صعب» مجروحين ومهشّمين بعد عمليَّة التَّعذيب التي اقترفها فيهم الجنود الإنجليز، وبينهم أولاد صغار.

منع التجول بالليل والنهار

فقد أعتاد الإنكليز أن يفرضوا في بعض الأحيان نظام منع التجول بالليل والنهار معًا على مدينة أو قرية بكاملها. لا يفرجون عنها خلال ذلك إلا ساعتين أو ثلاث ساعات من الضحى ثم يحبس الناس في بيوتهم سائر اليوم.

هذا السجن، قاساه عدد من المدن والقرى، فقد فرض على مدينة يافا كلها يومين، وعلى قسم منها ثلاثة أيام. وفرض على مدينة جنين وصفد عدة مرات، وفي كل مرة كان يمتد عدة أيام. وفرض على مدينتي اللد والخليل.

أما القرى التي فرض عليها هذا السجن فعددها كثير.

مدينة كاملة، أو قرية كاملة، تسجن. هذا نوع من التعذيب في طيه الحكم على المدينة بالجوع والعطش، وبقاء الأطفال بدون حليب، والمرضى بدون طبيب، والحوامل في المخاض بدون قابلة. لأن الكل مسجون. والساعتان أو الثلاث لا تكفي لقضاء حوائج المدينة كلها وإعداد خبزها وتوزيعه، ونقل الماء إلى الأحياء التي ليس فيها ماء. وإذا طرأت حالة ضرورية خلال المنع فلا يمكن الإسعاف.

مذكرة جمعية السيدات

وقد ورد ذكر التعذيب واستفظاعه في مذكرة قدمتها جمعية السيدات العربيات بالقدس إلى المندوب السامي البريطاني الجديد، قالت فيها:

«... وبجانب هذه المظالم التي يقوم بها رجال الجيش، لا يسعنا إلا أن

نستفظع حوادث الضرب والتعذيب والإيلام التي يتولى تنفيذها فريق من ضباط البوليس البريطاني أثناء التحقيق مع الموقوفين والمتهمين، مما لا يتفق مع الشرف والأخلاق والعدل.»

***

روت صحف فلسطين الصادرة في يوم ١٠ أيار (مايو) ١٩٣٨ الخبر الآتي:

«مرت بالرملة أمس «لجنة التقسيم» قادمة من القدس إلى يافا. وكان في مقدمة موكبها سيارات مصفحة، وفي المؤخرة سيارة البوليس. وأتفق أن شاهد أعضاء اللجنة في الطريق «كبشًا» محمولًا على مؤخرة سيارة ومربوطًا من قوائمه الأربع. فاستوقفوا السيارة وفكوا الكبش وأرسلوا صاحبه إلى أقرب مركز للبوليس، وقد أوقف الرجل ثم أخرج بالكفالة، تمهيداً لمحاكمته.» (انتهى)

والرفق بالحيوان عاطفة حميدة. ولكن، أصادقة من الإنكليز هذه العاطفة؟؟

لا وربك، إن الذين تصدر عنهم كل تلك القسوة الوحشية في تعذيب الإنسان، لا يمكن أن يكون لهم قلب يتحرك حقًا بعاطفة الرفق بالحيوان.

بل قد رأيت فيما سبق كيف كان الجنود الإنكليز يتلهون باتخاذ الحيوان نفسه هدفًا لرصاصهم، ويتبارون في إصابة الهدف على أعضائه.

لو كان أعضاء «لجنة التقسيم» صادقين فيما أظهروا من الرفق بالكبش المربوط لما كانوا يستطيعون العمل في بلد ترتفع من أعماق سجونه

ومـن جميـع جوانبـه، صيحـات المعذبـين، وأنـات الموجعـين، ولمـا كانـوا يقبلـون المهمـة التـي كلفـوا أن يقومـوا بهـا في مـكان يرتكـب فيـه قومهـم وحشـية التعذيـب في الإنسـان والحيـوان معًـا.

أيها الأعضاء المحترمون!

أن تكونـوا قـد رأيتـم الكبـش في مؤخـرة السـيارة، فهـل لم تسـمعوا مـا يرتكـب جنودكـم في سـاحات القـرى ومـا يقـترف رجالكـم في سراديـب السـجون؟

أو تكونـوا قـد طلبتـم محاكمـة صاحـب الكبـش، فهـل لم يخطـر لكـم ببـال أن تطلبـوا محاكمـة المسـئولين مـن حكامكـم عـن جرائـم التعذيـب؟

لا. إن دعـوى الإنكليـز الرفـق بالحيـوان كدعواهـم العـدل في الشـعوب، كلتاهـما كـذب وريـاء.

٢ - التمثيل

يظهر أن هؤلاء الإنكليز، فيها يتخذون من وسائل لقمع ثورة فلسطين ليس لهم من الشعور بالإنسانية، أو الشعور بالقوة، ما يكفي لأن يحملهم على الترفع عن الدنايا التي تشينهم أكثر مما تؤذي ثورة الحق، ولا من المروءة والكرامة ما يدعوهم إلى أن يكونوا خصومًا شرفاء.

التمثيل بالقتلى وتشويه جثثهم أثر من آثار الهمجية المفترسة. يبعث عليه في الإنسان المتوحش، التعطش إلى إرواء غل الصدور، والرغبة في اشباع شهوة الانتقام، حتى من الاموات الذين فارقوا الحياة.

والشرائع كلها تنهى عن التمثيل وتحرمه. والحضارة تأباه وتستنكره، والإنسان المتحضر يربأ بنفسه عنه، ويرى فيه مظهرًا لا يليق بإنسانيته من مظاهر تغلب الوحش المفترس الباقي في قرارة النفس البشرية من عهد الوحشية المنقرضة.

إلى هذا الإنسان المتحضر، نقدم ثلاث حوادث من أعمال الإنكليز في التمثيل بالقتلى. وأن الذين يرتكبون ما سبق وصفه من كبائر الآثم في تعذيب الإنسان الحي الذي يحس ويتألم، ليهون عليهم أن يرتكبوا شنيعة التمثيل بالإنسان الميت، الذي فقد الحس، والألم، والحياة.

في الفصل الأول من فصول هذه الثورة، نعنى ما كان منها عام ١٩٣٦، وقع بيد الإنكليز، في إحدى الوقائع التي جرت حول مدينة نابلس، جريح من المجاهدين، أسمه محمد بن بشير الشيخ ياسين. وهو من نابلس. فأجهزوا عليه، ثم مثلوا به. ولما سلموه ليدفن وجدت فيه

آثـار التمثيـل والتشـويه. وقـد أحتـج عـلى هـذه الحادثـة مؤتمـر العلـماء بنابلـس، الـذي أنعقـد في المسـجد الصلاحـي الكبـير فيهـا، يـوم ٦ ربيـع الآخـر عـام ١٣٥٥ - ٢٥ حزيـران ١٩٣٦، في مذكـرة قدمهـا إلى المنـدوب السـامي، وأحتـج فيهـا عـلى ضروب أخـرى مـن اعتـداءات الإنكليـز وفظائعهـم.

في هـذه الحادثـة أرتكـب الإنكليـز مـع التمثيـل، جـرم الاجهـاز عـلى الجريـح. وهـو أشـد قبحًـا وفظاعـة. والجمـع بـين الجريمتـين يـدل عـلى مبلـغ مـا في نفوسـهم مـن غـل وحقـد، وظـمأ إلى الانتقـام.

وارتكبـوا جـرم قتـل الأسـير مـرة أخـرى قبـل هـذه، في إحـدى قـرى نابلـس. وقـد ورد ذكرهـا في احتجـاج مؤتمـر العلـماء المشـار إليـه ملكنـا فـكان العـدل منـا سـجية فلـما ملكتـم سـال بالـدم ابطـح وحللتـم قتـل الأسرى وطالمـا غدونـا عـلى الأسرى فمـن ونصفـح.

ولمـا انتهـت معركـة بلعـا الأخـيرة، التـي وقعـت يـوم السـبت ١٦ نيسـان (أبريـل) عـام ١٩٣٨، مثـل الجنـود الإنكليـز بأحـد الشـهداء مـن المجاهديـن تمثيـلًا شـنيعًا. فقـأوا بالحـراب عينيـه، وشـوهوا وجـه تشـويهًا كبـيرًا وأحرقـوا ثيابـه حتـى صـار لا يعـرف.

وعندمـا أستشـهد سـتة مـن المجاهديـن في قريـة مسـكة الواقعـة بـين طولكـرم ويافـا وذلـك يـوم الخميـس في ٢٦ أيـار ١٩٣٨ مثـل الجنـود الإنكليـز أيضًـا بأولئـك الشـهداء تمثيـلًا فظيعًـا ففقـأوا عيونهـم بحرابهـم وحطمـوا جماجمهـم وشـوهوا وجوههـم انتقامًـا منهـم وشـفاء لغـل صدورهـم.

٣ - انتهاك الأعراض

حتى العرض والشرف، لم يسلما من اعتداء الإنكليز. وكان اعتداء مقرونًا بالوحشية السافلة.

في قرية «صفورية» من أعمال الناصرة، أعتدى نحو خمسة عشر وحشًا من جنودهم على عفاف فتاة صغيرة عمرها خمسة عشر عامًا فافتضوا بكارتها بالإكراه والقوة، ثم تعاقبوا عليها حتى مزقوا جسمها، وانتهت بها وحشيتهم إلى الموت!!

وفي قرية «يركا» من أعمال عكا، دخل أربعة منهم بيت سليمان أسعد طريف، وحاولوا افتراس امرأته بحضوره. فهب يدافع عن عرضه وشرفه، فضربوه بحرابهم، وأصابوه في ظهره وإليته. وقد سجلت هذه الحادثة في شكوى رسمية قدمها الرجل في اليوم التالي إلى قائمقام عكا.

وفي قرية حطين من أعمال طبريا، فصلوا الرجال عن النساء، ووضعوا كل فريق في مكان، تمهيدًا للتفتيش، وبدرت من أحدهم محاولة اعتداء على عفاف إحدى النساء، فثارت نساء القرية وأنهلن عليه بالصفع والضرب حتى أخرجنه.

وجرى نحو هذا في قرية «الرينة» من قرى الناصرة. وفي هذه المرة أيضًا ثارت نساء القرية على الجندي السافل وأدبنه.

وجرت حوادث أخرى من الاعتداء على الأعراض في قريتي «شعب وسخنين» من أعمال عكا، وفي غيرهما من قرى الشمال.

وفي قريتي «الرامة، ومجدل كروم» من قرى عكا، كان الجنود الإنكليز يتجولون بين البيوت وهم أنصاف عراة بالملابس الداخلية القصيرة.

وجاءوا مرة إلى كنيسة في إحدى قرى الشمال، وجعلوا يدقون ناقوسها فخرج لهم الكاهن فضربوه؛ ودخلوا الكنيسة فاتلفوا ما فيها ثم اعتدوا على بنت الكاهن.

وفي حملة التفتيش والتفظيع التي قاموا بها يوم ٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٧، كان في جملة ما ارتكبوه من الفظائع، الاعتداء على الأعراض. حتى حمل ذلك أهل تلك القرى على النزوح من قراهم والالتجاء إلى المدن هربًا بأعراضهم وأنفسهم.

٤ - انتهاك الحرمات الدِّينيّة

ومن شر ما يرتكب الإنكليز في فلسطين من الموبقات، استباحة الحرمات الدينية، والمقدسات الإسلامية.

الاعتداء على الاستقلال الديني

في فلسطين مؤسسة دينية اسمها «المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى» ألقيت إليها مقاليد المسلمين الدينية. فهي مركز الرئاسة الدينية العليا لهم، تمثلهم، وتحفظ مصالحهم، وتدافع عن حقوقهم، وتدير معاهدهم ومساجدهم وأوقافهم ومحاكمهم الشرعية وأماكنهم المقدسة.

أتخذ الإنكليز هذه المؤسسة هدفًا لضرباتهم. وبدأوا برئيسها سماحة المفتي الأكبر السيد محمد أمين الحسيني. فقرروا حرمانه من منصبه فيها وهو إنما تولى رئاسة هذا المجلس بانتخاب المسلمين. فكان عملهم عدوانًا على رئاسة المسلمين الدينية العليا، التي هي من أقدس الحرمات الإسلامية.

وشفعوا هذا باعتداء آخر على استقلال تلك المؤسسة أو بتعبير آخر، على استقلال المسلمين الديني. اذ وضعوا المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى تحت إشراف لجنة إنكليزية، أصبحت هي صاحبة الأمر في شئون المسلمين الدينية، وصار الإنكليز يتدخلون في كل كبيرة وصغيرة من هذه الشؤون.

ثـم جعلـوا يعيثـون فسـادًا في دوائـر المؤسسـة ووظائفهـا. وبـدأوا بدائـرة الأوقـاف الإسـلامية، ففصلـوا مديرهـا العـام، وجميـع مأمـوري الأوقـاف، وفريقًـا مـن موظفيهـا.

ثـم تدرجـوا إلى العبـث بالمعاهـد الإسـلامية. ففصلـوا مراقـب المعاهـد الدينيـة، ومراقـب الشـؤون التبشـيرية، وواعـظ السـجون. ولم يكتفـوا بالفصـل، بـل ألغـوا هـذه الوظائـف الدينيـة الثـلاث عـلى أهميتهـا.

وفصلـوا مفتـش المـدارس الإسـلامية، ومديـر دار الأيتـام الإسـلامية والواعـظ العـام في قضـاء غـزة.

ثـم فصلـوا حـراس المسـجد الأقـصى وأقامـوا محلهـم فريقًـا مـن جواسيسـهم حراسًـا، ليكونـوا عيونًـا لهـم عـلى المصلـين في الحـرم. ومـا ظنـك بمـن يبيـع ذمتـه ويؤجـر نفسـه جاسوسًـا عـلى أمتـه، هـل يؤتمـن عـلى حراسـة بيـت اللـه؟

ثـم جـاءوا برجـل مـن جواسيسـهم وجعلـوه يصـلي إمامًـا بالمسـلمين في المسـجد الأقـصى. وأرفقـوه بحـرس مسـلح مـن رجـال البوليـس يحرسـونه في ذهابـه وإيابـه وفي أثنـاء الصـلاة. فنفـر المسـلمون مـن الصـلاة خلـف جاسـوس يصـلي تحـت حراسـة البوليـس.

وأخـيرًا انتهـزوا إلى العبـث بالمحاكـم الشرعيـة الإسـلامية. فأصـدر المنـدوب السـامي نظامًـا أتخـذ فيـه لنفسـه حـق المجلـس الإسـلامي في فصـل الموظفين الدينيـين. ولمـا تـم لـه هـذا أصـدر قـرارًا بفصـل المفتـش العـام للمحاكـم الشرعيـة، ومعظـم القضـاة الشرعيـين، وعـددًا مـن كتـاب المحاكـم الشرعيـة.

وبذلك كله قلبوا الدوائر الدينية الإسلامية رأسًا على عقب، وعبثوا بها عبثًا كبيرًا.

هذا الاعتداء على الاستقلال الديني للمسلمين، وعلى رئاستهم الدينية العليا، والتدخل في شئونهم الخاصة، والعبث بدوائرهم الدينية إهانة لا تحتملها الكرامة الدينية الإسلامية، لم يسبق أن وجه مثلها إلى أمة أخرى. فالرئيس الديني إنما يمثل أمته. والإدارات الدينية إنما مردها إلى جماعاتها ونظمها الخاصة. وليس لسلطة أجنبية أن تمد إليها يدًا بمثل هذا العبث والعدوان.

سجن العلماء والقضاة

لم يكتف الإنكليز بهذا، بل اعتقلوا كثيرًا من رجال الدين وقضاة المسلمين. لم يراعوا فيهم حرمة الدين الذي يخدمونه، ولا العلم الذي يحملونه، ولا القضاء الذي يلونه، وساقوهم إلى السجون كما يساق المجرمون.

وكان بين الذين اعتقلوا منذ بدء الحوادث الأخيرة في أواخر أيلول (سبتمبر) ١٩٣٧ أصحاب الفضيلة الشيخ عبد الحميد السائح قاضي نابلس، والشيخ رامز مسمار قاضي طولكرم، والشيخ أديب الخالدي مفتي جنين، والشيخ رشاد الحلواني الإمام والخطيب والمدرس في جامع الاستقلال بحيفا، والشيخ توفيق العنبتاوي إمام الجامع الصغير بحيفا، والشيخ راضي الطاهر الواعظ العام في قضاء عكا، والشيخ فهمي الآغا واعظ المجدل، والشيخ سعيد الآغا واعظ خان يونس، والشيخ حلمي المحتسب رئيس كتاب المحكمة الشرعية في بيسان، والشيخ ياسين

البكـري الواعـظ في المسـجد الأقـصى؛ والشـيخ أحمـد العـوري الواعـظ في المسـجد الأقـصى ومـن المحامـين الشرعيـين، والشـيخ نـاصر الخالـدي واعـظ طبريـا، والشـيخ محمـد الراميني الواعـظ في قضـاء نابلـس، والشـيخ محمـد الجزائـري مـن علـماء دمشـق، والشـيخ نايـف الزعبـي مـن رؤسـاء الطـرق الصوفيـة في قضـاء النـاصرة، والشـيخ محمـد هاشـم الخطيـب رئيـس كتـاب المحكمـة الشرعيـة بحيفـا، والشـيخ صالـح العشـماوي مـن علـماء حيفـا، والشـيخ محمـد العجـل مـن علـماء اللـد، والشـيخ اسـماعيل السـوافيري مـن علـماء يافـا وغيرهـم وأكثرهـم لا يـزال في المعتقـل إلى اليـوم.

وكانـوا عنـد اعتقالهـم يكبلونهـم بقيـود الحديـد زيـادة في الإرهـاق والإهانـة. ولمـا أخـذ قـاضي طولكـرم مـن بيتـه في منتصـف الليـل، وضـع في غرفـة مـن غـرف دائـرة البوليـس انتظـارًا لإرسـاله إلى المعتقـل. فجـاء شـاويش إنكليـزي ورآه هنـاك فاعتـدى عليـه وآذاه وأهانـه، ووضـع القيـد في يديـه بعنـف وقسـوة، وأخرجـه مـن الغرفـة لينتظـر في الخـارج.

ثـم اتبعوهـم في الأيـام الأخـيرة بقافلـة أخـرى فيهـا أربعـة مـن القضـاة آخـرون. وهـم أصحـاب الفضيلـة الشـيخ محمـد مطيـع الدرويـش أحمـد قـاضي يافـا، وهـو شـيخ جليـل كبـير السـن في حـدود السـبعين، ولي القضـاء في عهـد الدولـة العثمانيـة منـذ ثلاثـين عامًـا، والشـيخ صبحـي خيـزران قـاضي حيفـا، والشـيخ مصطفـى فاضـل العـوري قـاضي غـزة، والشـيخ محمـد سـعد الديـن وكيـل قـاضي صفـد.

وقـد أخـذ هـؤلاء القضـاة حـين اعتقلـوا، هـم في محاكمهـم يقضـون بمـا أمـر اللـه بـه، فانتزعـوا مـن مجالـس الحكـم، وسـيقوا مـن كـراسي القضـاء، إلى

أعماق السجون، وأصبح عدد القضاة المعتقلين ستة وهم لم يؤخذوا بتهمة. فما كانوا يشتغلون بغير واجبهم في القضاء. وما كان اعتقالهم إلا لأنهم قضاة المسلمين وكفى، فالمقصود إهانة المسلمين وإذلالهم.

العلماء المطاردون

وهناك غير هؤلاء كثير من العلماء طلبوا للاعتقال، واختفوا عن الأنظار، وتشتتوا في الأقطار والسلطة تطاردهم وتبحث عنهم: منهم أصحاب الفضيلة الأساتذة الشيخ حسن أبو السعود مفتي السادة الشافعية ومفتش المحاكم الشرعية، والشيخ صبري عابدين مراقب المعاهد الدينية والمدرس في المسجد الأقصى، والشيخ موسى العيزراوي رئيس كتاب محكمة الاستئناف الشرعية وإمام الصخرة المشرفة، والشيخ سعيد اليعقوبي الواعظ العام في قضاء جنين، والشيخ عبد الحي عرفة المدرس بالحرم الإبراهيمي الشريف، والشيخ فارس أدريس من علماء الخليل، والشيخ حسين حسونة من علماء اللد، والشيخ رشيد النوباني من علماء المزرعة بجوار القدس، وإمام قرية الرينة في قضاء الناصرة وغيرهم.

وهناك عدد آخر من العلماء وضعوا تحت رقابة البوليس، وكانوا باثبات وجودهم في دوائر البوليس ثلاث مرات في اليوم.

إخراج العلماء من المسجد الأقصى

يقيم في الحرم القدسي فريق من العلماء والمدرسين والوعاظ، ولهم فيه غرف خاصة. فطاردهم الإنكليز حتى في قلب الحرم الشريف،

وأخرجوهـم مـن غرفهـم في المسـجد الأقـصى، ووضعـوا محلهـم الجواسـيس ورجـال البوليـس.

إهانة العلماء

وكان في القـدس ضابـط بوليـس إنكليـزي شرس أسـمه «سيكرسـت». ففـي أثنـاء الإضراب العـام عـام ١٩٣٦، جعـل هـذا الضابـط يقـوم بتفتيـش

قـاس في الطـرق والبيـوت، بأشـد مـا عـرف مـن فظاعـة وغلظـة. كان يبـادر كل مـن يلقـاه في طريقـه بالـضرب والإهانـة، لا يوقـر كبـيرًا ولا يرحـم صغـيرًا، وقـد أعتـدى خـلال ذلـك عـلى كثـير مـن العلـماء والوجهـاء. حتـى النسـاء المسـلمات. وفي تفتيشـه البيـوت كان فـوق مـا يجريـه فيهـا مـن التخريـب وإتـلاف مـا يجـده مـن مؤونـة وأثـاث وآنيـة، إذا وجـد المصحـف الشريـف مزقـه شـذر مـذر ورمـاه عـلى الأرض حتـى ضجـت القـدس منـه. وحتـى حمـل ذلـك شـابًا متعلـمًا مـن عائلـة معروفـة عـلى اقتحـام المـوت لقتلـه غـلًا للإهانـة.

وفي قريـة «سـلواد» مـن قـرى القـدس، أهانـوا الشـيخ يوسـف عبـد الفتـاح السـلوادي، والشـيخ صالـح السـلوادي، وسـلبوا جميـع مـا كان لديهـما مـن مـال. وفي قريـة «الطـيرة» مـن قـرى بنـى صعـب، ضربـوا أثنـاء التفتيـش الشـيخ محمـود أبـو خيـط مـن علـماء القريـة وأهانـوه وشـجوا رأسـه.

وضربـوا شـيخًا مـن العلـماء في قريـة «سـلمة» بجـوار يافـا. إذ جـاءوا إلى القريـة في منتصـف الليـل وجعلـوا يكـسرون الأبـواب والزجـاج في قهـوة

بجـوار داره. فخـرج عـلى الصـوت فلحقـوا بـه وضربـوه. ولم ينجـه إلا أن دخـل بيتـه وأقفـل البـاب.

وأهانـوا أمـام القريـة في (زرعـين) مـن قـرى جنـين، ورمـوا عمامتـه عـن رأسـه، وضربـوا فضيلـة الأسـتاذ الشـيخ حلمـي المحتسـب رئيـس كتـاب المحكمـة الشرعيـة في بيسـان، وهـو معتقـل في سـجن المزرعـة.

شيخ يعذب

في أوائـل عـام ١٩٣٨ اعتقلـوا الشـيخ محمـد أبـو جغـب مـن علـماء قريـة (قباطيـة) إحـدى قـرى جنـين فعذبـوه عذابًـا شـديدًا. كانـوا يضربونـه حتـى يغمـى عليـه، ويتركونـه حتـى يفيـق، ثـم يسـتأنفون الـضرب، ثـم قلعـوا أظافـره، وقلبـوا عليـه مختلـف أنـواع العـذاب، لينتزعـوا منـه اعترافًـا معينًـا وهـو تحـت التعذيـب. ولما أعياهـم صـبره واحتمالـه، أعـدوا جماعـة مـن وحوشـهم المجرمـين وجعلـوا يهددونـه بـأن يحملوهـم عـلى ارتـكاب الفحشـاء معـه. يـا للدنـاءة ويـا للوحشـية! كل أنـواع العـذاب تحملهـا الشـيخ صابـرًا متجلـدًا إلا هـذا فقـد ثـار ثائـره لمـا سـمع بـه، وأصيـب بنوبـة مـن الجنـون ثـم لم يعـرف أحـد مقـره أمـدًا طويـلًا. فقـد وضعـه الإنكليـز بعـد ذلـك في مـكان مجهـول، وكتمـوا أمـره عـن أهلـه وعـن سـائر النـاس، حتـى لا تشـيع فضيحتهـم، وحتـى تـزول عنـه آثـار العـذاب، ثـم نقلـوه مؤخـرًا إلى معتقـل المزرعـة.

قتل البوليس مسلما وقف احترامًا لله

ومن أشنع ما ارتكبوه في انتهاك حرمة الدين، الحادثة الآتية: في فجر اليوم الخامس والعشرين من شهر مايس (مايو) ١٩٣٦، جاءوا إلى قرية «قاقون» من قرى بني صعب للقيام فيها بعملية التفتيش. وكان معهم بعض أفراد البوليس العربي. فدخلوا بيتًا فيه شيخ كبير واقف بين يدي ربه يصلى الصبح. فوقف البوليس العربي خاشعًا ينتظر انتهاء الصلاة، وهو من قرية «عين كارم» واسمه محمود، فعد الجندي الإنكليزي ذلك منه تقصيرًا عن القيام بواجبه، وأطلق عليه بندقيته فقتله!

الاستهزاء بالصلاة والذكر

في يوم ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٣٦، جاءت قوة من الجيش الإنكليزي إلى قرية «الكابري» من قرى عكا. وكان يرافقها مساعد حاكم اللواء الشمالي. فأجروا فيها عملية التفتيش والتخريب والنهب بفظائعها المعروفة. وخلال ذلك مزقوا المصحف الشريف. ثم جمعوا رجال الطرق الصوفية الدينية، وأجبروهم على القيام بالذكر وإقامة الصلاة أمامهم، مبالغة في الإهانة، وجعلوا يستهزئون بهم ويتضاحكون منهم. وأهل القرية يبكون لما أصابهم في دينهم وفي أشخاصهم وأموالهم.

تعطيل الصلاة

يفرض الإنكليز على الناس في فلسطين نظام منع التجول. ويكون المنع في الغالب من غروب الشمس إلى شروقها. وقد أستمر هذا في معظم المدن طول مدة الإضراب العام. وهي ستة أشهر. وفي هذه الأيام يفرض منع التجول بين آن وآخر بحسب الظروف. وهو يقضي على الناس بأن

يلزمـوا بيوتهـم في مواعيـد المنـع. وهـذا مـن شـأنه تعطيـل شـعائر الديـن ومنـع إقامـة الصـلاة في المسـاجد، في صلـوات المغـرب والعشـاء والصبـح. وقـد أعـترض المسـلمون عـلى هـذا كثـيرًا. وطلبـوا أن يبـدأ منـع التجـول، حـين يفـرض، بعـد الغـروب بسـاعتين وأن ينتهـي قبـل الـشروق بسـاعة، عـلى الأقـل، ليتمكنـوا مـن إقامـة هـذه الصلـوات في المسـاجد بأوقاتهـا. ولكـن هـذا الطلـب كان يقابـل بالرفـض البـات.

بـل إن منـع التجـول كان يمـدد أحيانًـا حتـى يشـمل الليـل والنهـار، ولا يـترك للنـاس إلا سـاعتان أو ثـلاث سـاعات مـن الصبـاح يخرجـون فيهـا. وفي هـذه الحالـة كانـت تعطـل إقامـة الصلـوات الخمـس كلهـا في المسـاجد. وقـد نفـذ هـذا في كثـير مـن المـدن مثـل يافـا، واللـد، وجنـين، وصفـد، والخليـل وفي كثـير مـن القـرى.

ويجـري نحـو هـذا في المعتقـلات. فالمعتقلـون يجـبرون عـلى دخـول أكواخهـم مـن قبـل غـروب الشـمس إلى طلوعهـا. فمـن أراد أن يصـلي منهـم لا يجـد مـاء للوضـوء. وبذلـك يمنعـون مـن أداء فروضهـم الدينيـة.

إهانة كتاب الله

أقـدس مـا يقـدس المسـلمون، القـرآن الكريـم، كتـاب اللـه المنـزل بالهـدى وديـن الحـق. وقـد تكـررت مـن الإنكليـز إهانـة القـرآن الكريـم، عـدا مـا سـبق ذكـره مـن أعـمال الضابـط سيكرسـت. وتـوالى منهـم تمزيـق المصاحـف ورميهـا عـلى الأرض أثنـاء التفتيـش، في كثـير مـن القـرى والمـدن. ولمـا رأوا أثر هـذا الاعتـداء الشـائن في إغضـاب النـاس وإثـارة نفوسـهم كفـوا عنـه. فلـما

تجـددت الثـورة في الأشـهر الأخـيرة عـادوا إلى تمزيـق المصاحـف واهانتهـا أثنـاء التفتيـش، حينـما وجدوهـا.

إهانـة القرآن الكريم نتيجـة التَّفتيش في باب حطّة بالقدس

إهانـة القرآن الكريم نتيجـة التَّفتيش أيضًا في باب حطّة

مـن ذلـك أنهـم في اليـوم الثالـث مـن شـهر كانـون الأول (ديسـمبر) سـنة ٩٣٧، أجـروا عمليـة التفتيـش، في قريـة «كفـر كنـا» مـن قـرى النـاصرة. فدخلـوا بيتًـا لشـيخ كبـير السـن اسـمه محمـود أحمـد الأسـعد، فوجـدوه يقـرأ القـرآن الكريـم. وكان ذلـك اليـوم يـوم جمعـة، وآخـر يـوم في رمضـان. فانتزعـوا المصحـف الشريـف منـه، ومزقـوه، ورمـوا بـه الأرض، وداسـوه بأقدامهـم. ثـم أوسـعوا الشـيخ المسـكين ضربًـا ولكـمًا، عـلى مشـهد مـن أهـل القريـة.

وفي اليـوم العـاشر مـن كانـون الثـاني (ينايـر) ١٩٣٨ أهانـوا القـرآن الكريـم أثنـاء التفتيـش والتفظيـع الـذي أجـروه في مدينـة صفـد. وذلـك بـأن رمـوه عـلى الأرض وداسـوه بأرجلهـم. وقـد ورد هـذا في احتجـاج رسـمي قدمـه أهـل صفـد إلى المنـدوب السـامي البريطـاني في فلسـطين وإلى رئيـس الـوزارة البريطانيـة، وإلى ملـوك العـرب، عـددوا فيـه أنـواع الفظائـع التـي أجراهـا الجيـش الإنكليـزي في مدينتهـم، واحتجـوا عليهـا.

وكذلـك أهانـوا كتـاب اللـه الكريـم ومزقـوه في قريـة «إجـزم» مـن قـرى حيفـا.

ومـن قبـل هـذا، مزقـوه، ورمـوه عـلى الأرض وداسـوه بأرجلهـم في قريـة «الطـيرة» مـن قـرى بنـي صعـب، وكان ذلـك في بيـت حسـن العبـد اللـه المنصـور.

وقريـب مـن هـذا، أن الجنـود الإنكليـز احتلـوا دار المحكمـة الشرعيـة بنابلـس، أيـام الإضراب العـام، فعبثـوا بسـجلاتها، ومزقـوا قسـمًا منهـا.

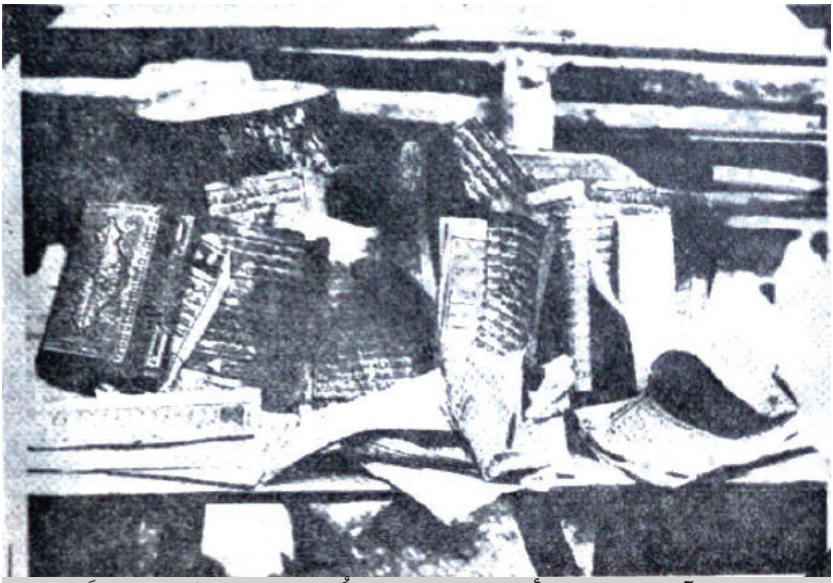

إهانـة القـرآن الكريـم - أخـذت هـذه الصُّـورة شـخصيَّة إنجليزيَّـة ذات مكانـة، وكتبـت عليهـا بالإنجليزيَّـة مـا يـأتي: «التَّخريـب في إجـزم ١٩ فبرايـر سـنة ١٩٣٨. قـرآن ممـزَّق ومنـزوع مـن جلـده وقـد بُعـثِرَت أوراقـه ولُطِّخَـت بالزَّيـت

وقد ورد ذكر هذه الإهانة لكتاب الله الكريم، وتمزيق سجلات المحكمة الشرعية، مع الاحتجاج على ذلك، في المذكرة التي قدمها مؤتمر العلماء بنابلس إلى المندوب السامي، وقد أشير إليها فيما تقدم.

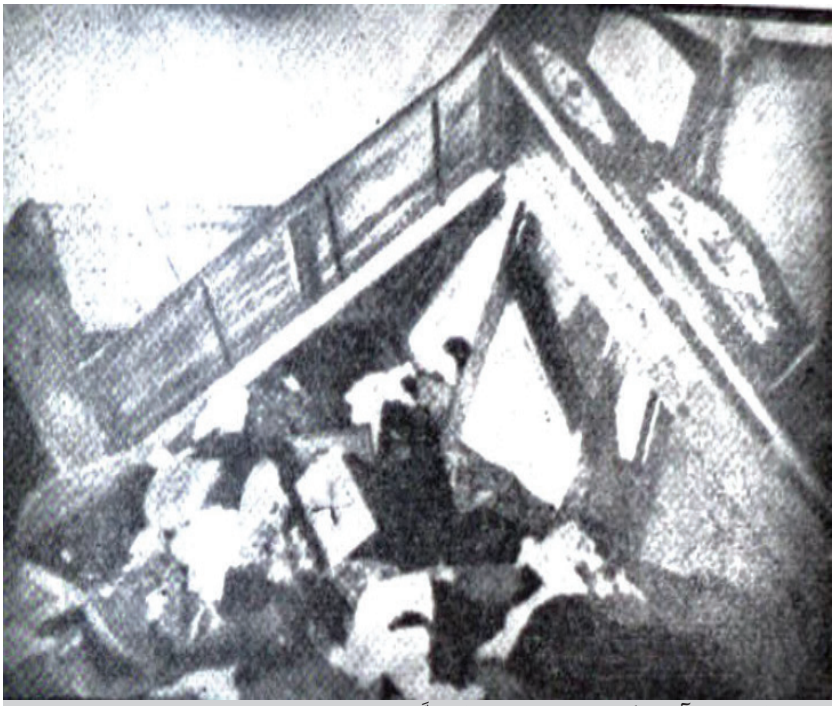

إهانة القرآن الكريم - نتيجة التَّفتيش في بيت حسن العبد الله المنصور في قرية طيرة بني صعب

الاعتداء على بيوت الله

المساجد بيوت الله. وهي أحق شيء بالاحترام والرعاية. ولكن أي حرمة مقدسة في الأرض المقدسة أبقى عليها الإنكليز ولم ينتهكوها؟

لما نسفوا بالديناميت المدينة القديمة بيافا، أيام الإضراب العام، كان في جملة ما نسفوه مسجد اسمه «مسجد الشيخ رسلان».

وجامع الجزار التاريخي في عكا، أطلقوا عليه المدافع الرشاشة فخرقوا قبته التي تعد أثرًا فنيًا بديعًا، وحطموا زجاجه، وروعوا طلاب العلم فيه وجرحوا أحدهم برصاصة في رجله.

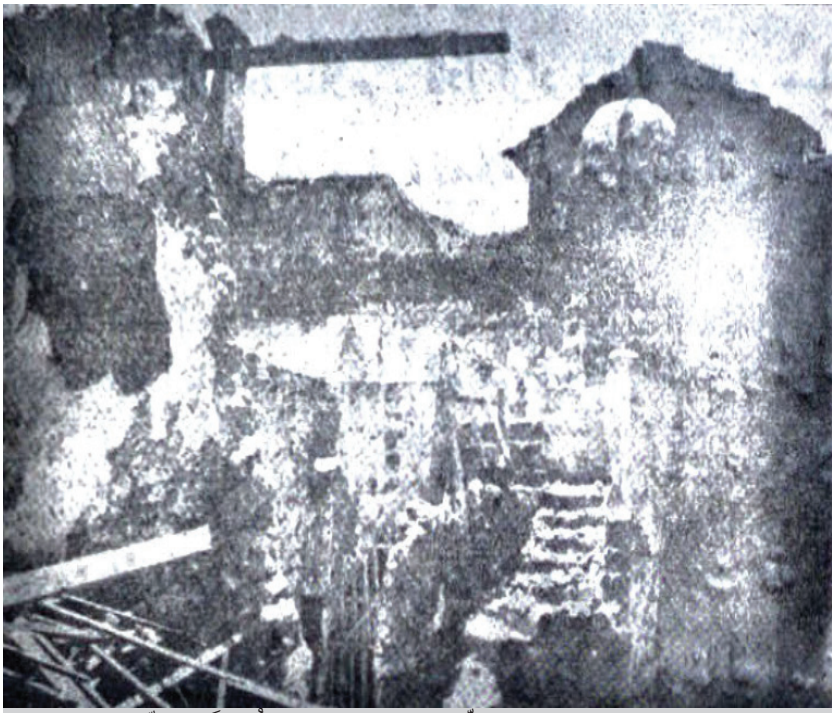

تهديم بيوت الله - مسجد الشّيخ رسلان وقد نُسِفَ بالدّيناميت مع المدينة القديمة بيافا

حتى المسجد الأقصى

على أن كبيرة الكبائر، وعظيمة العظائم، إهانة المسجد الأقصى، قبلة المسلمين الأولى، وثالث الحرمين الشريفين، والذي أسرى الله إليه بنبيه صل الله وعليه وسلم، وبارك حوله، وأنزل فيه قوله «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا»

هذا المسجد المبارك، والحرم الآمن، والمكان الطاهر المقدس، أهين ودنس، إذ وضعت في قلبه نقطة للبوليس!

وكان لا يدخله أحد بسلاح. فإذا أراد دخوله جندي مسلح صغير أو كبير، مسلم أو غير مسلم، للصلاة أو للزيارة، ألقي سلاحه عند الباب، احتراما لبيت الله.

فاليوم يصبح المسجد المقدس مخفرًا للبوليس، وتطل البنادق والحراب على المنبر والمحراب، وتحل مظاهر القوة العاتية في موطن الخشوع والجلال وتفقد نفوس المتعبدين ما كانت تجد من طمأنينة وراحة في بيت الله.

ولما رأوا السخط الشديد من المسلمين، في فلسطين وخارجها، على هذه الإهانة البالغة، أخرجوا البوليس من المسجد، ولكن وضعوهم على أبوابه. وألغوا المخفر الذي أقاموه في داخل الحرم، ولكنهم أقاموا بدلًا منه تسعة مخافر حوله، إذ جعلوا على كل باب من أبوابه التسعة نقطة من البوليس.

وأصبح المسجد الأقصى في حصار شديد، يحيط به نطاق من البوليس والجند. وأقفر بسبب ذلك من المصلين والمتعبدين.

«ومَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ»؟!

الدين، والعرض، والوطن، والحياة. هذه هي أعلى ما يملك الإنسان. هذه هي الحرمات التي يقدسها البشر ويذودون عنها بالمهج وقد انتهك الإنكليز في فلسطين هذه الحرمات كلها.

٥ - النَّسف والتَّدمير

مـن فظائـع الإنكليـز الناطقـة بهمجيتهـم المنقطعـة النظـير التـي جعلـوا فلسـطين ميدانًـا لهـا في العامـين الأخيريـن، مسـألة نسـف المنـازل وتدميرهـا في المـدن والقـرى، انتقامـا مـن الاهلـين وارهابًـا لهـم. وقـد تنـاول هـذا النسـف والتدمـير مئـات المنـازل في عـشرات مـن المـدن والقـرى فأصبحـت قاعًـا صفصفًـا.

وكان أظهـر أعـمال النسـف في مدينـة يافـا القديمـة عـام ١٩٣٦. ففـي صبـاح يـوم ١٦ حزيـران (يونيـو) أنـذرت السـلطة الإنكليزيـة الأهـالي بواسـطة نـشرات ألقتهـا الطائـرات أنهـا سـتهدم بعـض الأبنيـة «لتحسـين» المدينـة! وأمهلتهـم ٢٤ سـاعة للجـلاء عنهـا. وفي صبـاح يـوم ١٨ منـه أنـذرت الاهلـين بأبـواق الجنـد فـأسرع النـاس للنجـاة بأرواحهـم دون أن يأخـذوا معهـم إلا أقـل مـن القليـل مـن أمتعتهـم وأموالهـم. ثـم شرعـت فرقـة المهندسـين في الجيـش الإنكليـزي بوضـع صناديـق الديناميـت في أسـس عـدد كبـير مـن البيـوت والحوانيـت وتشـعل فيهـا الفتيـل، فـما هـي إلا لحظـات حتـى حـم القضـاء ودوي الفضـاء بأصـوات تصـم الآذان، وتطايـرت حجـارة البيـوت والعـمارات، وعلـت الجـو سـحائب قاتمـة مـن الغبـار والدخـان. وفي خـلال سـاعتين كانـت يافـا القديمـة ركامًـا مـن أنقـاض المنـازل المتهدمـة فـوق مـا فيهـا مـن أثـاث ومتـاع.

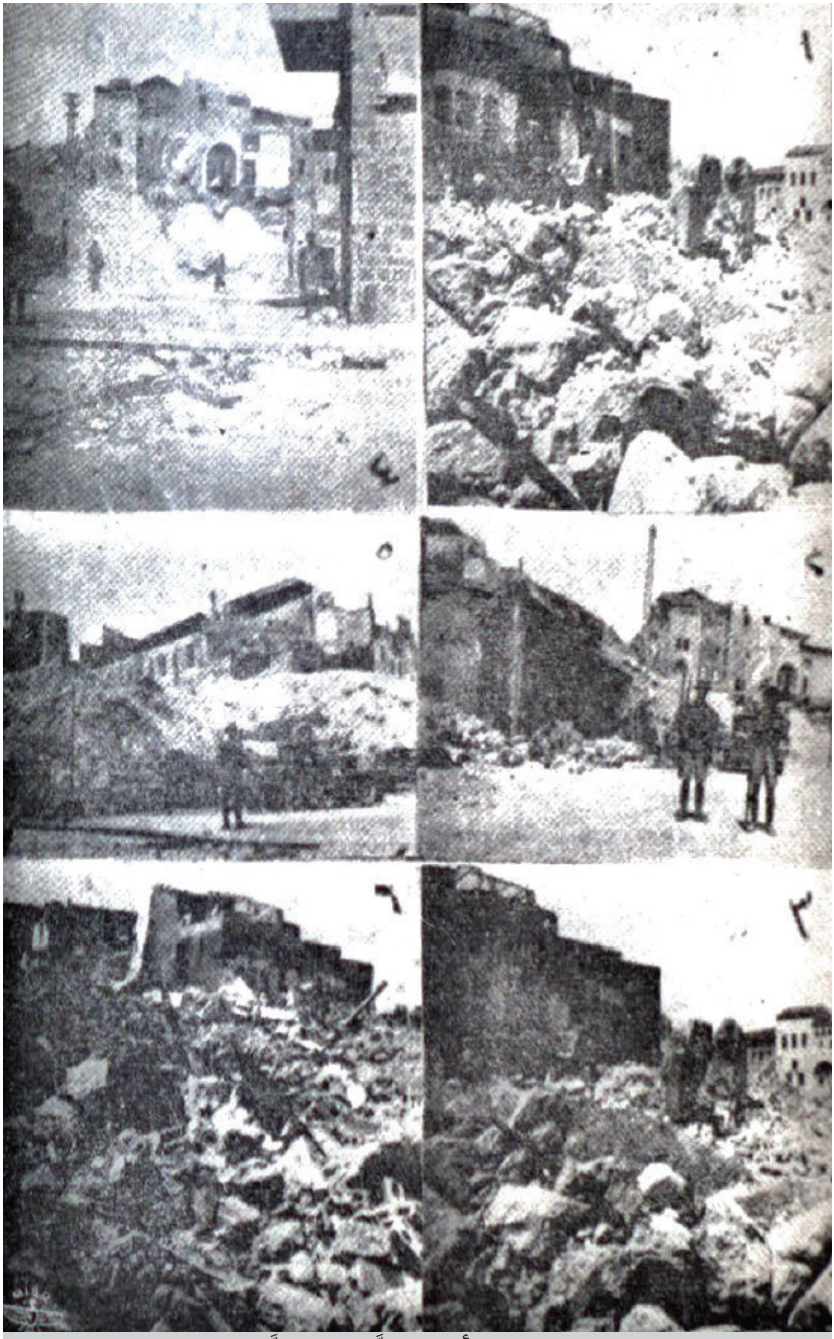

ستّ صور مختلفة لأعمال النَّسف والتَّدمير في يافا

ثم أعادت السلطة الإنكليزية عملية النسف هذه مرة ثانية في مدينة يافا، وذلك يومي الاثنين والثلاثاء ٢٩ و٣٠ حزيران (يونيو) ١٩٣٦. وقد جرى النسف في هذه المرة بالديناميت أيضًا كالمرة السابقة، وكان الديناميت المستعمل هذه المرة أقوى وأشد مفعولًا. وحصل بسببه تشعث وهدم لمئات من الأبنية الأخرى إلى مسافات بعيدة. وقد بلغ عدد البيوت المنسوفة في المرتين والمتصدعة أكثر من ٦٠٠ بيت. وبسبب ذلك نزح جميع سكان المدينة القديمة عن بيوتهم يهيمون على وجوههم مع نسائهم وأطفالهم دون مأوى وتشتتوا بحالة يرثى لها.

وفي أثناء الهدم والنسف أغتنم فريق من الجنود فرصة خلو البيوت من أصحابها فأقبلوا على نهبها. ومن أصحاب البيوت المنهوبة كل من السادة رشاد القمبرجي ومحمد القول آغاسي وشفيق الأنصاري وغيرهم.

وبعد أن أتم الإنكليز فعلتهم الفاضحة في يافا تحولوا عنها إلى المدن والقرى الأخرى، وأصبح النسف عقوبة مألوفة تفرض بسهولة وبدون مبالاة كما تفرض عقوبة السجن البسيط أو الجزاء النقدي القليل في المخالفات العادية. ففي مدينة اللد نسفت في عام ١٩٣٦ عدة منازل. وفي عام ١٩٣٧ نسفوا فيها أيضًا أربعة منازل أحدها كان صاحبه مريضًا يتعالج في المستشفى في مدينة أخرى قبل الحوادث بمدة طويلة. والبيت الثاني كان صاحبه مقيمًا بالقدس. وبديهي ألا يكون لهما شأن في الحوادث التي جرى النسف بسببها.

وليس ضروريًا في النسف أن يدان صاحب البيت نفسه أو تتجه إليه الشبهة، بل يكفي أن تتجه شبهة ما إلى القرية أو المدينة بوجه إجمالي حتى تعتبر المدينة كلها مذنبة. فينتخب رجال السلطة من بيوتها ما يشاءون ويحكمون عليه بالنسف وينفذون الحكم فورًا.

وتعطى عند النسف، في حوادث النسف الفردية التي ينسف فيها عدد قليل من البيوت، مهلة قصيرة لا تزيد في كثير من الأحيان عن نصف ساعة. ولا تكفي لأكثر من أن ترتدي نساء البيت ثيابين ويوقظن الأطفال من النوم، فضلًا عن إخراج ما فيه من أثاث ومتاع.

وفي حالات كثيرة كان يمنع صاحب البيت من إخراج أي شيء من بيته قبل نسفه، غير السكان. وسواء أمنع من إخراج شيء أم لم يمنع فالنتيجة الواقعية في أكثر الحالات أن يهدم البيت على ما فيه. وإذا نسف بيت بالديناميت فالهدم لا يقتصر على البيت المنسوف وحده، بل يتهدم معه عدد من البيوت الملاصقة له والمحيطة به، وتتصدع عشرات أخرى من البيوت المجاورة. وذلك بتأثير الاهتزازات التي يحدثها انفجار الديناميت الهائل.

وثمة مدن وقرى كثيرة كانت عرضة لأعمال النسف والحرق في أعوام ١٩٣٦ و١٩٣٧ و١٩٣٨ غير يافا واللد. فقد نسفت وحرقت مئات البيوت في المدن والقرى الآتية أسماؤها:

قلقيلية، رنتيس، الطيبة، ذنابة، مسكة، بلعا، عزون، دير الغصون، قولة، أم الفحم، يعبد، اليامون، جبع، سيلة الظهر، السيلة الحارثية، إكسال،

إنـدور، المجيـدل، صفوريـة، طلـوزة، مجـدل كـروم، قباطيـة، دبوريـة، كفـر كنـا، إجـزم، يـركا، أقـرت، عـين الزيتـون، كوكـب الهـوا، سـحمانا، الضاهريـة، سـلوان، خربـة أبي فـلاح، وغيرهـا.

هـذه قطـرة مـن بحـر، وغرفـة مـن نهـر، مـن الفظائـع التـي يقترفهـا الإنكليز في فلسـطين بـين سـمع الأرض وبصرهـا دون وازع ولا رقيـب، ودون أن يبالـوا بالإنسـانية والـشرف والحـق والعـدل، نضعهـا أمـام أبصـار العـالم المتمـدن لـيرى فيهـا رأيـه ويقـول فيهـا كلمتـه. ولا شـك أن اللـه عـز وجـل سـينتقم مـن الظالمـين المجرمـين «وَسَـيَعْلَمُ الَّذِيـنَ ظَلَمُـوا أَيَّ مُنقَلَـبٍ يَنقَلِبُـونَ».

شيخ عربيّ في السَّبعين من عمره أصيب أثناء الجهاد بأكثر من سبعين جرحًا من رصاص الطَّيَّارات، وما يزال حيًّا يُرزَق

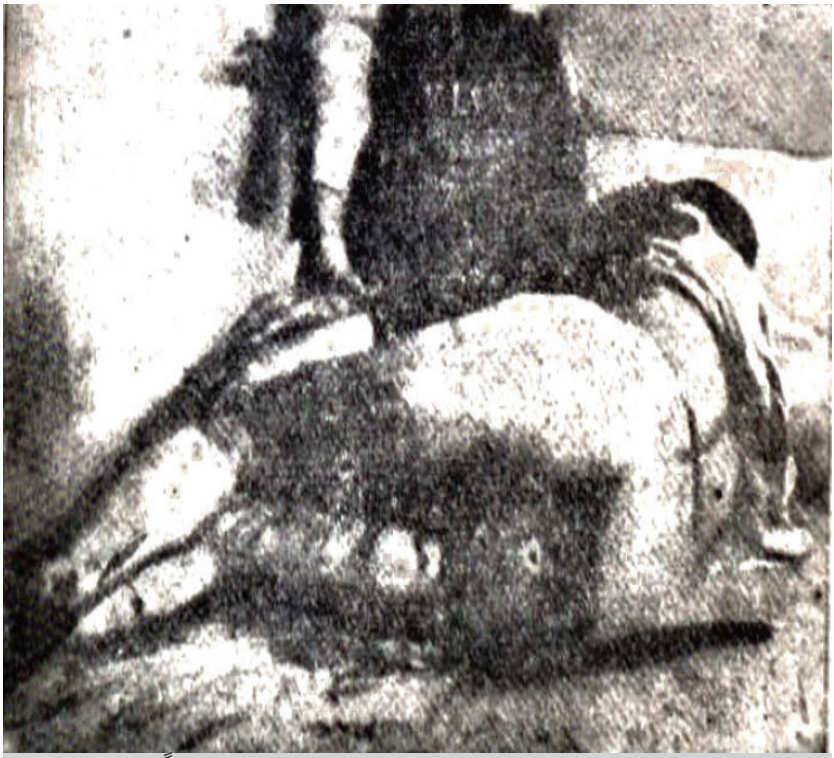

شـهيد عـربي صرعـه الجنـود الإنجليـز برصاصهـم وتركـوه غارقًـا في بركـة مـن الدِّماء

لقد مثّل النشر عبر العصور أداةً للتمدّد والاحتواء، وهو بذلك استطاع أن يمتلك قُدرة استثنائية على التجدّد والتنوّع في حركته وتحوّلاته التقنية، بدءًا من الإيماءة ومرورًا بالنقش ثم الطباعة على الورق، ليُشكّل بذلك ضوءًا مُتعدّد الطبقات، يَقبضُ بوميضه على أحاسيسنا المتغيّرة بفعل الزّمن.

إن تمدّدًا على هذا النّحو، يمكنه أن يقلّص المسافة، وأن يُجسّد حاجتنا إلى التنقّل عبر المحطات العابرة للتاريخ، بل يُثري تجاربنا في تشكيل القوالب الحيّة لذاكرة لا تغيب.

فتلك التحوّلات التي أنتجتها التكنولوجيا لم تأتِ صدفةً، إنها انبثاقُنا المبتكر نحو خلق الترابط مع الآخر في هذا العالم الوسيع.

ضمن تلك الرؤية، صمّمت وزارة الثقافة مشروعها نحو النشر الرقمي ليقينها بضرورة توسيع نطاق النّشر وإتاحته أمام أكبر عدد ممكن من الباحثين والدارسين والقُرّاء.

وزير الثقافة
عماد عبدالله حمدان